أبشروا يا كرام

يا من أدركتم تكبيرة الإحرام

لأبي مالك محمد بن قاسم غزال الضُّميري

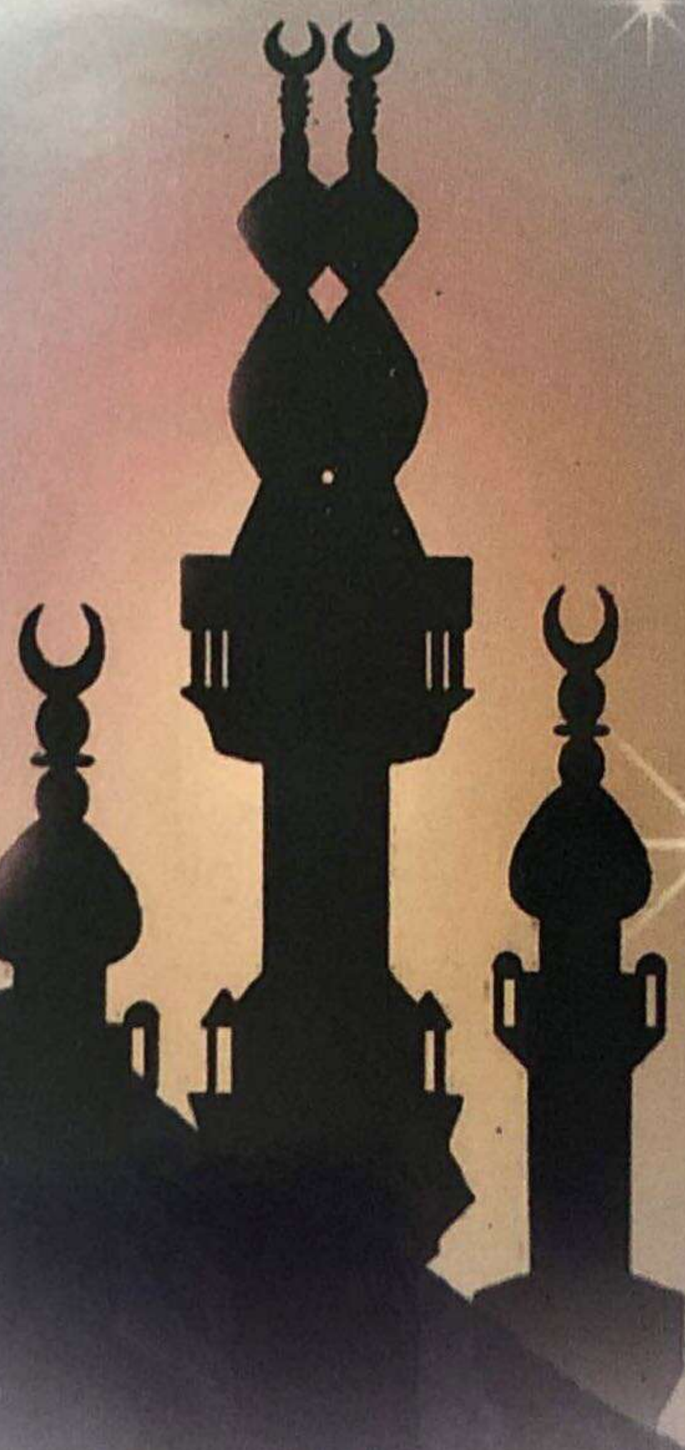

قدم له فضيلة الشيخ

أحمد بن محمد الحواش

إمام وخطيب الجامع الكبير بخميس مشيط

الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ

طبع على نفقة أحد المحسنين - جزاه الله خيرا -

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ / أحمد بن محمد بن عبد الله الحواش حفظه الله

إمام وخطيب المسجد الجامع الكبير بخميس مشيط

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على رسول الله وخليله نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه بإحسان ، أما بعد : فقد قرأت هذه الرسالة المباركة المسماة: (أبشروا يا كرام يا من أدركتم تكبيرة الإحرام) لجامعها صاحب الفضيلة أبي مالك محمد بن قاسم آل غزال الضُّميري ، وفرغت من قراءتها حرفياً ليلة الجمعة ١٤٢٩/١٢/١٤هـ فوجدتها رسالة مفيدة جداً ، وقيمة مدعمة بالدليل والأثر، أسأل الله أن يبلغ نفعها مشارق الأرض ومغاربها ، فإن تكبيرة الإحرام براءة من النفاق ، وبراءة من النار، لمن حافظ عليها ، ووفقه الله إليها ، وهي ركن الصلاة الأعظم بعد توحيد الله العظيم ، من عظمها فإنما يعظم شعائر الله (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) والناس في هذه التقوى على عشرة أقسام : صلاة كاملة ، نصف ، ثلث ، ربع ، خمس ، سدس ، سبع ، ثمن ، تسع ، عشر، ومنهم من هو كالأعرابي (ارجع فصل فإنك لم تصل) متفق على صحته .

وفق الله الجميع لصلاة خاشعة كاملة ، يشرح الله بها الصدور ، ويريح بها القلوب ، فهو تعالى علام الغيوب ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وأتباعه بإحسان .

أحمد الحواش

١٤٢٩/١٢/١٨هـ إمام وخطيب المسجد الجامع الكبير بالخميس

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية البحث

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرئ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكَحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْه)[1].

---

١ - رواه البخاري ج٣/١ رقم ١ ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسلم ج٤٨/٦ رقم ٥٠٣٦ ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنية) وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال .
قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه المجموع : وإنما بدأت بهذا الحديث تأسياً بأئمتنا ومتقدمي أسلافنا من العلماء رضي الله عنهم وقد ابتدأ به إمام أهل الحديث بلا مدافعة أبو عبد الله البخاري صحيحه ، ونقل جماعة أن السلف كانوا يستحبُّون افتتاح الكتب بهذا الحديث ؛ تنبيهاً للطالب على تصحيح النية وإرادته وجه الله بجميع أعماله البارزة والخفية ، وروينا عن الإمام أبي سعيد عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله قال : لو صنفتُ كتاباً بدأتُ في أول كل باب منه بهذا الحديث ، وروينا عنه أيضاً قال : من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بهذا الحديث، وقال الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي الشافعي الإمام في كتابه المعالم رحمه الله تعالى : كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث : (الأعمال بالنيات) أمام كل شيء يُنشأ ويُبتدأ من أمور الدين ؛ لعموم الحاجة إليه في جميع أنواعها . انظر المجموع ج١٦/١، فصل في الإخلاص والصدق وإحضار النية في جميع الأعمال البارزة والخفية .

قلت : والصلاة وإدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها من أفضل الأعمال ، ويجب لها النية الخالصة لله وحده لا شريك له ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (من **صلى لله** أربعين يوماً في جماعة ، يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق) كما سيأتي بيانه في شرح حديث الباب إن شاء الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

أما بعد : فكلما زاد علم المرء واتسعت معرفته كلما اتسعت حريته وزاد اختياره ، وإن الباحث إذا كتب بحثاً وعاد إليه بعد فترة ـ وقد ازداد خلال هذه الفترة علماً ودراية ـ فإنه بلا شك ستزيد خياراته أمام محاور وعناصر بحثه ، وستزيد أيضاً مساحة نظره

---

١ – سورة آل عمران آية ١٠٢.

٢ – سورة النساء آية ١.

٣ – سورة الأحزاب آية ٧٠–٧١.

ونقده لما كتبه بالأمس ، وربما يَعجبُ المرءُ مما خطته أنامله !! ـ إذا كان عهده به بعيداً ـ وربما يضحك من نفسه كيف سطر بعض عباراته ؟!.

وبالتالي فلا عجب أن يستدرك الباحث بعض ما نقص ، وأن ينقص بعض ما زيد ، وأن يقدم بعض ما تأخر ، وأن يؤخر بعض ما تقدم .... .

وهذا كما جاء في الأثر من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص والضعف على جملة البشر [1] ، وفي بعض الكتب كما نقله الثعالبي قوله : إن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة ، فكيف في سنين عدة [2] ؟.

ويقول الإمام المزني رحمه الله : (قرأت كتاب الرسالة على الإمام الشافعي ، ثمانين مرة ، فما من مرة إلا كان يقف على خطأ ، فيقول : هيه ـ أي حسبك ـ أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه) [3] ا.هـ.

وإذا كان هذا حال الإمام الشافعي رحمه الله مع كتابه العظيم الرسالة ، وهو أول من ألف في علم الأصول ، وهو فارس هذا الميدان بلا منازع . فكيف يكون حال عبد مقصر ليس بفارس ولا راجل يسير خلف ركاب القوم ذا عرج ؟!.

---

١ – نقلاً من كتاب القاضي عبد الرحيم البيساني الذي أرسله إلى العماد الأصفهاني ، انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ج١/١٤، وأبجد العلوم الوشي المرقوم لصديق القنوجي ج١/٧٠.

٢ – يتيمة الدهر للثعالبي ج١/١.

٣ – انظر حاشية رد المختار على الدر المختار لابن عابدين ج١/٢٩ ، وكشف الأسرار للبزدوي ج١/٦.

ورحم الله القائل :

أسير خلف ركاب القوم ذا عرج مؤملاً جبر ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب السماء في الناس من فرج

وان ظللت بقفر الأرض منقطعاً فما على أعرج في ذاك من حرج

قلت : ومن هنا تبرز مكانة العرض على العلماء ورثة الأنبياء ؛ لأنهم أكثر علماً وعملاً ، ولا يسع المرء عندما يسود صفحات له في موضوع أو بحث معين ، إلا أن يعرض بضاعته على العلماء العاملين ، وطلبة العلم الصادقين ، حتى يستهدي بصوابهم ، ويأنس بملاحظاتهم ، ويستنير بآرائهم ... .

وقد روي عن هشام بن عروة ، أن أباه قال له : كتبتَ ؟ قال : نعم ، قال : عارضتَ ؟ قال : لا قال : لم تكتب [1] .

وعن معمر ، قال : لو عورض الكتاب مئة ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط أو قال : خطأ [2].

وكل بحث يعرض على أهله ، وفرسان ميدانه ، فيعرض بحث الأصول على علماء الأصول ، ويعرض بحث الفقه على الفقهاء ، وهكذا ... .

وهذه الطبعة لا تخلو من بعض الاستدراكات والزيادات ، منها : الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها ، وبيان أن إدراك تكبيرة الإحرام وحُسن

---

١ - مصنف ابن أبي شيبة ج٥/٣٣٧ رقم ٢٦٦٥٩ ، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج١/٩٤ .

٢ - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج١/٩٤ ، ومثله أيضاً عن المزني في موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي ج١/١٤.

الصلاة فيه تغييّر للأنفس وتزكية لها وسمو بها نحو الأفضل والأكمل ، وأضفت إليها بعض المسائل والأحكام المتعلقة بتكبيرة الإحرام ، منها : بيان هل يجزئ الدخول في الصلاة بغير قول : (الله أكبر) ؟ وبيان هل يجزئ التكبير باللغة الأعجمية ؟ وبيان حكم من كبر تكبيرة الإحرام وهو منحني ، وبيان حكم المعذور الذي لا يستطيع أن يأتي بتكبيرة الإحرام وهو قائم ، وبيان هل يسرع المصلي إذا خاف فوات تكبيرة الإحرام وطمع في إدراكها ؟ وبيان أيهما أسهل على المكلف الفرائض أم السنن والمستحبات ونوافل الطاعات ؟ وغيرها من المسائل والأحكام .

وإن أنسى فلا أنسى ذلك الرجل الخفي الذي أعان على طبع هذه الرسالة أول مرة وأبى أن يعرفه أحد ، وإني لأرجو الله أن يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ويُذكرني خفاء هذا الرجل برجل آخر في طيبة الطيبة كان يتلمس أحوال الفقراء في المسجد النبوي الشريف ، وكان يرقُبُهم من بعيد ، حتى إذا رأى أحدهم دخل في صلاة النافلة ، جاءه من خلفه ليضع في جيبه مبلغاً من المال دون أن يعرفه أحد ، بل دون أن يعرفه الفقير نفسه خشية أن يخدش شعوره .

فلله الحمد والمنّة أن جعل فينا مثل هؤلاء المنفقين الأخفياء ، كثر الله من الصالحين ، وجعلنا منهم .

والشكر موصول إلى إدارة مطبعة النرجس بالرياض ، وأسأل الله الكريم أن ينفعني بما أكتب والقارئ ومن أعان على طبعها ونشرها ، وأن يجعلنا جميعاً من أهل تكبيرة الإحرام ، وأن يكتب لنا براءة من النار وبراءة من النفاق ، بفضله وجوده وكرمه

وعظيم منته علينا ، وأن يتجاوز عن أخطائنا وتقصيرنا ، وأن يغفر لنا ذنوبنا ويستر عيوبنا وزلاتنا ، إنه خير الغافرين ، وأن يجعل حياتنا زيادة في كل خير ، وأن يطيب أعمالنا وختامنا في طيبة الطيبة ، وأن يلحقنا بالصالحين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو أكرم الأكرمين ، اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

وكتب

أبو مالك محمد بن قاسم آل غزال الضُّميري

طيبة الطيبة في ١٤٣١/٣/١٨هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

أما بعد[4] :

فإن للصلاة في الإسلام مكانة رفيعة ، ومنزلة كبيرة ، ولها شأنٌ وقدرٌ عظيم عند الله تعالى ، فهي أول ما فرضه الله تعالى بعد الإيمان به وتوحيده[5] .

---

١ – سورة آل عمران آية ١٠٢.

٢ – سورة النساء آية ١.

٣ – سورة الأحزاب آية ٧٠-٧١.

٤ – خطبة الحاجة رواها الإمام أحمد في مسنده ، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ج٦/٢٦٢ رقم ٣٧٢٠ ، والحاكم في المستدرك باب حديث سالم ج٦/٣٥٨ رقم ٢٦٩٤ ، وابن ماجة ج٤/٣٩٣ رقم ١٨٩٣ .

٥ – للصلاة مكانة خاصة على سائر العبادات لمكان فرضيتها ، فلم ينزل بها ملك إلى الأرض ، ولكن شاء الله أن ينعم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالعروج إلى السماء وخاطبه ربه =

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين [1] ، فلا يقوم دين المسلم إلا بها ، وهي عمود الدين[2] وأصله وأساسه ، وهي دليل العبودية لله وحده لا شريك له ، والمراد منها غاية الخضوع والخشوع في السجود والركوع ، وهي أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين .

= بفرضية الصلاة مباشرة ، وقد فرضت خمسين صلاة ثم حصل التخفيف في عددها إلى خمس ، وبقي ثواب الخمسين في الخمس ، وهذا دليل على عظيم منزلتها ومحبة الله لها .

١ - إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) رواه البخاري ج١/١٢ رقم ٨ باب الإيمان ومسلم ج١/٣٤ رقم ١٢٢ ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (بني الإسلام على خمس) .

٢ - إشارة إلى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحتُ قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويبعدني عن النار . قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى يعلمون . ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه . قلت : بلى يا رسول الله . قال : **رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة** ، وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله . قلت : بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه فقال : كف عليك هذا . قلت : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به . قال : ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال : على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) . رواه الإمام أحمد في المسند ج ٤٨/١١٤ رقم ٢٦٦٥ . والحاكم في المستدرك ج٨/٢٠٩ رقم ٣٥٠٧ وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين . والترمذي ج٦/١١٦ رقم ٢٦١٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح . والنسائي في السنن الكبرى ج٦/٤٢٨ . وابن ماجة ج٢/١٣١٤ رقم ٣٩٧٣ . وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ج٣/١١٤ رقم ١١٢٢ وقال : صحيح بمجموع طرقه .

والصلاة من أعظم أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة بعد الإيمان بالله عز وجـ

قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[١] .

والصلاة على وقتها أفضل وأحب الأعمال إلى الله تعالى[٢] ، فعن عبد الله مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قا : (الصلاة على ميقاتها) وفي رواية : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : (الصلاة على وقتها) [٣] .

والصلاة من أعظم أسباب مغفرة الذنوب وتكفير السيئات ، قال عليه الصلاة والسلام : (ما من امرئٍ مسلمٍ تحضُرُهُ صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسن وضوءَها وخشوعَها وركوعَها إلا كانت كفّارةً لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كلّه) [٤].

وانتظار الصلاة جهاد ورباط في سبيل الله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغُ الوضوءِ على المكاره وكثرةُ الخُطَى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرّباط ، فذلكم الرّباط) [٥] .

---

١ – سورة المؤمنون الآية ١ ، ٢ .

٢ – رواه البخاري ج٣/١٠٢٥ رقم ٢٦٣٠ ، ومسلم ج١/٨٩ رقم ٨٥ .

٣ – رواه البخاري ج١/١٩٧ رقم ٥٠٤ .

٤ – رواه مسلم ج١/١٤٢ رقم ٥٦٥ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه .

٥ – رواه مسلم ج١/١٥١ رقم ٦١٠ باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره .

ومن حافظ على صلاته كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف) [1] .

ومن حافظ على صلاته كان له عهد عند الله أن يدخله الجنّة ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (خمس صلواتٍ افترضهنَّ الله على عباده من أحسن وضوءهنّ وصلاهنّ لوقتهنّ فأتمّ ركوعهنّ وسجودهنَّ وخشوعهنّ كان له عند الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد ، إن شاء غفر له وإن شاء عذّبه) [2] .

والصلاة صلة بين العبد وربه ، وكما قال ابن القيم رحمه الله : وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل ، تفتح له من الخيرات أبوابها ، وتقطع عنه من الشرور أسبابها ،

---

١ – رواه الإمام أحمد ج٢٦٢/١٤ رقم ٦٧٣٣ والبيهقي في شعب الإيمان ج٣٣٩/٦ رقم ٢٦٩٧ باب من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة . وابن حبان ج٤٣٨/٦ رقم ١٤٨٩ باب الوعيد على ترك الصلاة . وانظر مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي ج١٢٧/١ رقم ٥٧٨ بتحقيق الألباني وقال : صحيح .

٢ – رواه الإمام أحمد في المسند ج٣٧٢/٤٩ رقم ٢٣٣٧٧٢ ، وأبو داود ج١٦٩/١ رقم ٤٢٥ ، وانظر صحيح الجامع للألباني رقم ٣٢٤٢ وقال : صحيح .

وتفيض عليه موارد التوفيق من ربه عز وجل والعافية والصحة والغنيمة والغنى والراحة والنعيم والأفراح والمسرات كلها محضرة لديه ومسارعة إليه .

فالصلاة مجلبةٌ للرزق ، حافظةٌ للصحة ، دافعةٌ للأذى ، مطردةٌ للأدواء ، مقويةٌ للقلب ، مبيضةٌ للوجه ، مفرحةٌ للنفس ، مذهبةٌ للكسل ، منشطةٌ للجوارح ، ممدةٌ للقوى شارحةٌ للصدر ، مغذيةٌ للروح ، منورةٌ للقلب ، حافظةٌ للنعمة ، دافعةٌ للنقمة ، جالبةٌ للبركة ، مبعدةٌ من الشيطان ، مقربةٌ من الرحمن .

وبالجملة : فلها تأثير عجيب في حفظ صحة القلب والبدن وقواهما ودفع المواد الرديئة عنهما.. لا سيما إذا وفيت حقها من التكميل ظاهراً وباطناً ، فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة ، ولا استجلبت مصالحهما بمثل الصلاة [1] .

والصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر[2] ، وإن صلحت فقد صلح سائر عمله ، وإن فسدت فقد

---

١ – زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ج٤/٣٠٤ .

٢ – إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر) رواه الترمذي ج٢/٢٦٩ رقم ٤١٣ وقال : حديث حسن غريب ، والنسائي ج١/١٤٣ رقم ٣٢٥ ، والترمذي في الترغيب والترهيب ج١/٢٠١ رقم ٧٦٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان ج٣/١٨٢ رقم ٣٢٨٦ ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ج١/ ٢١١ رقم ١٨٢ وابن أبي شيبة في مصنفه ج٧/٢٧٦ رقم ٣٦٠٤٧ وانظر صحيح الجامع للألباني م١ رقم ٢٠٢٠ .

فسد سائر عمله [1] . والصلاة ميزان سائر الأعمال ، وقد كتب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله فقال لهم : (إن أهم أمركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع) [2] .

فالصلاة عنوانٌ لما سواها من الأعمال ، وعنوان من حسنت صلاته وحفظها إدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها ، وعنوان من ساءت صلاته تفريطه في تكبيرة الإحرام ، فالمواظبة على إدراك تكبيرة الإحرام علامة فارقة بين رجل يوقر صلاته ويحسنها ويقيمها ويخشع فيها ، وبين آخر لا يوقر صلاته ، دأبه التأخر عن الصلاة، لا يقرب المساجد إلا هُجُراً ولا يأت الصلاة إلا دُبُراً [3] يأتي عجولاً ويصلي مسبوقاً ... ورجل هذا حاله مضيع لصلاته ، فهو ـ بلا ريب ـ لما سواها من الأعمال أضيع .

---

١ – إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أول ما يحاسب العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله) انظر الأحاديث المختارة للمقدسي ج١٤٥/٧ رقم ٢٥٧٨ وقال : الحديث إسناده حسن لشواهده . والترغيب والترهيب للمنذري ج١٤٩/١ رقم ٥٥١ وقال : رواه الطبراني في الأوسط ج٢٤٠/٢ رقم ١٨٥٩ ولا بأس بإسناده . وانظر صحيح الجامع للألباني م١ رقم ٢٥٧٣ .

٢ – رواه الإمام مالك في الموطأ ج٦/١ رقم ٦ بسنده عن نافع عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والبيهقي في السنن الكبرى ج٤٤٥/١ رقم ١٩٣٥ ، وعبد الرزاق في مصنفه ج٥٣٦/١ رقم ٢٠٣٨ ، والطحاوي في معاني الآثار ج١٩٣/١ ، قال الزرقاني في شرحه ج٣٣/١ : هذا منقطع ؛ لأن نافعاً لم يلق عمر بن الخطاب ، ثم قال : وهذا وإن كان منقطعاً لكن يشهد له أحاديث أخر مرفوعة .

٣ – وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن للمنافقين علامات يعرفون بها ـ وذكر منها ـ لا يقربون المساجد إلا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً ...) =

وإن من الوفاء بحق الصلاة وحسنها وكمالها الظاهر إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام وهذه ورقات كتبتها في أول الأمر في فضل إدراك تكبيرة الإحرام ، وبيان عظيم ثواب وحسن مآب من حافظ عليها ، ثم صارت بحثاً في هذا الباب ، راجياً من الله تعالى أن ينفعني بما أكتب وعباده المؤمنين وأن يكون موعظة للمنيب ، وذكرى للعاقل اللبيب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾[2] وأسأله تعالى أن يجعلني وكل من قرأ هذا البحث من أهل تكبيرة الإحرام ، الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، وأن يصلح لنا صلاتنا ، وسائر أعمالنا ، وأن يجعلنا من المقبولين ، ويدخلنا الجنة بمحض فضله وجوده وكرمه وعظيم منته علينا ، إنه أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين.

ولقد دعاني إلى كتابة هذا البحث أمران اثنان :

أولهما : تقصير كثير من طلبة العلم ـ وما أبرأ نفسي ـ فضلاً عن تهاون عامة الناس بتكبيرة الإحرام ، وبالأجر العظيم المترتب على إدراكها والمواظبة عليها ، ومن علامات ذلك التقصير أو التهاون أنك قلما تجد مسجداً يسلم إمامه من الصلاة إلا

= رواه أحمد في المسند ج٢/٢٩٣ رقم ٧٩١٣ ، والبيهقي في الشعب ج٣/٨٧ رقم ٢٩٦٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج١/١٠٧ وقال: رواه أحمد والبزار وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي ، وثقه يحيى بن معين وغيره ، وضعفه الدارقطني وغيره .

١ – غافر الآية ١٣ .

٢ – الزمر الآية ٩ ، والرعد الآية ١٩ .

وترى من يقضي ما فاته من الركعات أكثر ممن حضر عند إقامة الصلاة ، فقليل من يدرك تكبيرة الإحرام ، وقليل من قليل من يحافظ ويواظب عليها .

وثانيهما : مسألة وقعت لبعض طلبة العلم ممن يقيمون قريباً من المسجد النبوي الشريف ، والمسألة هي : (إذا سمع الرجل المقيم إقامة الصلاة في المسجد النبوي الشريف ، ولم تقم الصلاة في مسجد حيه ، فهل يصلي الرجل في المسجد النبوي يرجو ثواب الألف صلاة، إلا أن تكبيرة الإحرام قد تفوته، وربما فاتته الركعة الأولى والثانية .. أم أنه يصلي في مسجد حيه أو المساجد القريبة يدرك فيها تكبيرة الإحرام ، ولكن سيفوته ثواب الألف صلاة في المسجد النبوي الشريف ؟).

وقد أشار العلماء الأجلاء إلى فضل تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها في مواضع متفرقة من مصنفاتهم ، فقمتُ بجمع هذه المواضع ، ورتبتُ بعضها إلى بعض ، وزدتُ عليها بعض عناصر الموضوع ، وأرجو الله الكريم خير الفاتحين أن أكون قد استوعبتُ جميع أطراف هذا الموضوع بدراسة موضوعية شاملة لجميع عناصره .

وإنما جمعت هذا البحث لنفسي ولكل مقصر متعثر مثلي ، فهو ذكرى للمقصرين المتعثرين وبشرى للسابقين الأولين ، وكنت قد سميته (أبشروا يا كرام يامن أدركتم تكبيرة الإحرام) وسماه أحد الأفاضل[1] (معراج المؤمنين الكرام بالمحافظة على تكبيرة

---

١ - هو فضيلة شيخنا المبارك أبي عبد القادر محمد طاهر الرحيمي المدني رحمه الله ، أستاذ القراءات في المسجد النبوي الشريف، المقرئ العابد الذي جمع بين العلم والعبادة وكنتُ قد قرأت عليه هذا البحث في بيته العامر بحي البحر في طيبة الطيبة زادها الله طيباً وجنبها كل خبيث في مساء=

الإحرام) ولك أن تسميه (لا تفوتك تكبيرة الإحرام) فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله تعالى ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان من ذلك [1] .

= يوم الجمعة الموافق للخامس والعشرين من شهر ذي الحجة لعام ألف وأربعمئة وثمانية وعشرين للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وأقرني فضيلته على جواب المسألة الداعية لكتابة هذا البحث وسماه بـ : (معراج المؤمنين الكرام بالمحافظة على تكبيرة الإحرام) فجزاه الله عني خير الجزاء ، ثم توفي رحمه الله في يوم الاثنين الموافق للسادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة لعام ألف وأربعمئة وتسعة وعشرين للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، في طيبة الطيبة، وصليّ عليه في المسجد النبوي الشريف، ودفن في بقيع الغرقد ، رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

١ - أثر هذا القول عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عندما سئل في رجل تزوج امرأة فمات قبل أن يدخل بها ولم يسم لها صداقاً فاختلفوا إليه في ذلك شهرا أو قريباً من شهر فقالوا : ما بد أن تقول فيها . قال : اقضي أن لها صداق امرأة من نسائها لا وكس ولا شطط ، ولها الميراث وعليها العدة ، **فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك** . فقام رهط من أشجع فيهم الجراح وأبو سنان فقالوا : نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في امرأة منا يقال لها : بروع بنت واشق ، وكان زوجها يقال له : هلال بن مرة الأشجعي . ففرح بن مسعود رضي الله عنه فرحا شديدا حين وافق قضاؤه قضاء رسول الله صلى الله عليه و سلم . رواه بهذا اللفظ البيهقي في السنن الكبرى ج٧/ ٢٤٦ رقم ١٤١٩٥. وأحمد في مسنده ج١٣٧/٦ برقم ٤٢٧٦. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند. وأبو داود ج٢٠٢/٢ رقم ٢١١٨ باب فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات.

وقال الألباني: صحيح. ج٣٩٧/٢ رقم ١٨٥٨. قلت : وقد رضي هذا القول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفي الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم : (رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد) رواه الحاكم في المستدرك وصححه ج٣٥٩/٣ رقم ٥٣٨٠ ، والطبراني في الأوسط =

وقد بينت فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها ، من خلال شرح حديث الباب الذي يرويه الصحابي الجليل خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ، وبينت حد تكبيرة الإحرام وصفتها وبيان وقت إدراكها مع الإمام ، وجمعت أقوال الفقهاء فيما تدرك به تكبيرة الإحرام ، وبينت حكمها في الصلاة ، ثم حكم إدراكها مع الإمام ، وجمعت الأحاديث والآثار الواردة في التبكير للصلاة وفيمن سمع النداء ، والآثار الواردة في فضل إدراك تكبيرة الإحرام ، ثم بينت الأسباب المعينة على إدراكها والمحافظة عليها ، وأجبت عن المسألة الداعية لكتابة هذا البحث ، وأضفت إليها بعض المسائل والأحكام والقواعد والأصول المتعلقة بتكبيرة الإحرام ، وأن المحافظة على إدراكها جهاد وتغيير للأنفس وتزكية لها وسمو بها نحو الأفضل والأكمل .

وإني أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى كل من علمني وله حق وفضل عليّ ، والديّ الكريمين ـ حفظهما الله وأطال الله في أعمارهما وأحسن أعمالهما ـ وكل من بذل لي من علمه ووقته ولم يدخر ما بوسعه ، وكل من استفدت من حاله وكتابه وبحثه ، وكل من أهدى إليّ ملاحظاته وتعليقاته ، وأخص منهم فضيلة شيخنا المبارك أحمد بن محمد بن عبد الله الحواش ، إمام وخطيب المسجد الجامع الكبير بخميس مشيط ، حفظه الله ونفع بعلمه وأحواله ، وفضيلة شيخنا المبارك أبي عبد القادر محمد

= ج٧/٦٩ رقم ٦٨٧٩ وفي الكبير ج٩/٨٠ رقم ٨٤٥٨ والبزار في المسند ج٥/٣٥٤ رقم ١٩٨٦، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ج٣/٢٩٩ رقم ١٢٢٥.

طاهر الرحيمي المدني رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به ـ بمحض فضله وجوده وكرمه وعظيم منته علينا ـ في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أؤلئك رفيقاً .

اللهم ـ يا رب يا الله ـ أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم اللهم انفعني وعبادك المؤمنين بما أكتب ، واجعل ذلك خالصاً لوجهك الكريم ، وهادياً إلى دينك القويم ، يا رب يا الله أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعلني وقارئ هذا الكتاب ومن أعان على طبعه ونشره من أهل تكبيرة الإحرام ، وأن تكتب لنا جميعاً براءة من النار وبراءة من النفاق ، وأن تطهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، اللهم طيب أعمالنا وطيب ختامنا وعاقبتنا في الأمور كلها ، وألحقنا بالصالحين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

كتبه لنفسه ولأهله ولمن شاء الله من بعده

أبو مالك محمد بن قاسم آل غزال الضُّميري

في طيبة الطيبة في ١٤٣٧/٢/٥هـ .

باب

في فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها

الفصل الأول

فضل إدراك تكبيرة الإحرام

والمداومة عليها

في السنة النبوية المطهرة

وآثار السلف الصالح .

المبحث الأول :

تكبيرة الإحرام وصفتها ووقت إدراكها وحكمها وحكم إدراكها مع الإمام .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف تكبيرة الإحرام وصفتها وبيان وقت إدراكها مع الإمام .

المطلب الثاني : حكم تكبيرة الإحرام ، وحكم إدراكها مع الإمام .

المطلب الأول : تعريف تكبيرة الإحرام وصفتها وبيان وقت إدراكها مع الإمام .

تعريف تكبيرة الإحرام : وتسمى التكبيرة الأولى ، وتكبيرة الافتتاح .

وهي قولك : (اللهُ أكبر) في بدء كل صلاة .

والتكبير هنا : هو التكبير المعهود الذي نقلته الأمة نقلاً ضرورياً خلفاً عن سلف عن نبيها صلى الله عليه وسلم أنه كان يقوله في كل صلاة : (اللهُ أكبر) لا يقول غيره ولا مرة واحدة [1] .

وسميت تكبيرة الإحرام ؛ لأَنَّهُ يَحْرُمُ بِهَا ما كَان حَلالاً له ـ أي للمصلي ـ قبْلَها مِنْ مُفْسداتِ الصَّلَاةِ كأَكْلٍ وَشُرْبٍ وَكَلَامٍ وَغَيْرِه [2] . وقد جاء في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير) [3] .

وسميت التكبيرة الأولى وتكبيرة الافتتاح ؛ لأنه أول ما يفتتح بها المكلف صلاته .

---

١ - حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ج١/٦٢.

٢ - نهاية المحتاج للرملي ج٤/٦٠ .

٣ - رواه أحمد في المسند ج٣/٢٤ رقم ١٠١٨ ، والترمذي ج١/٨ رقم ٣ وقال : هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن . وأبو داود ج١/٦٣ رقم٦١، وابن ماجة ج١/١٠١ رقم٢٧٥، والحاكم في المستدرك ج١/٤٤٤ رقم ٤٢٠ ، وقال : حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم . انظر صحيح الجامع للألباني رقم ٥٨٨٥.

صفة النطق بتكبيرة الإحرام :

قال النووي رحمه الله : واعلم أن المذهب الصحيح المختار أن تكبيرة الإحرام لا تمدّ ولا تمطّط بل يقولها مدرجة مسرعة . وقيل تمدّ والصواب الأوّل . وأما باقي التكبيرات فالمذهب الصحيح المختار استحباب مدّها إلى أن يصل إلى الركن الذي بعدها ، وقيل لا تمدّ فلو مدّ ما لا يمدّ أو ترك مدّ ما يمدّ لم تبطل صلاته لكن فاتته الفضيلة . واعلم أن محلّ المدّ بعد اللام من اللّه ولا يمدّ في غيره[1] ا.هـ.

وقال رحمه الله : واعلم أنه لا يصحّ التكبير ولا غيره من الأذكار حتى يتلفظ بلسانه بحيث يسمع نفسه إذا لم يكن له عارض ، فإن كان بلسانه خرسٌ أو عيبُ حرَّكَه بقدر ما يقدرُ عليه وتصحُّ صلاته .

والسنّة أنَّ يجهر الإمام بتكبيرة الإحرام وغيرها ليسمعَه المأمومُ ، ويسرّ المأموم بها بحيث يُسْمِعُ نفسه ، فإن جهر المأموم أو أسرّ الإمام لم تفسد صلاته ، وليحرص على تصحيح التكبير فلا يمدّ في غير موضعه ، فإن مدّ الهمزة من اللّه أو أشبع فتحة الباء من أكبر بحيث صارت على لفظ أكبار لم تصحّ صلاته[2] ا.هـ.

---

١ - الأذكار للنووي ج١/١٠٩ .

٢ - المرجع السابق ج١/١١٠ .

وقال ابن قدامة رحمه الله : ويبينُ التكبير ولا يمد في غير موضع المد، فان فعل بحيث تغير المعنى مثل : أن يمد الهمزة الأولى فيقول : الله فيجعلها استفهاماً أو يمد أكبر ، فيزيد ألفا فيصير جمع كَبَرُ وهو الطبلُ لم يجز؛ لأن المعنى يتغير به[1] ا.هـ.

وفي مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل : قَالَ صَاحِبُ الطِّرَازِ : لَا يُجْزِئُ إشْبَاعُ فَتْحَةِ الْبَاء حتَّى تَصِير أَكْبَارُ بِالْأَلِفِ ، وَإِنَّ الْأَكْبَارَ جَمْعُ كَبَرٍ وَالْكَبَرُ الطَّبْلُ ، وَلَوْ أَسْقَطَ حَرْفًا واحداً لَمْ يُجْزِهِ ، انْتَهَى[2] .

وقال صاحب الفواكه الدواني : وصفتُهُ (أَنْ تَقُولَ : اللَّهُ أَكْبَرُ) بالمَدِّ الطَّبيعيِّ للفظ الجلالة قَدْرَ أَلِفٍ ، فَإِن تركه لَمْ يَصِحَّ إحرَامُهُ ، كما أن الذاكر لا بُدَّ له من ذلك واعلم أَنَّه لَا بُدَّ من الإتيان بهذا اللَّفْظِ على هذا الترتيب ، ويحذر من مَدِّ هَمْزَة اللَّهِ حَتَّى يصير مستفهماً ، ومن مَدِّ باء أكبر ، ومن تشديد رائهِ ، ومن الفصل الطَّويل بين اللَّهُ وَأَكْبَرُ ، ومن الجمع بين إشباع الهاء من اللَّهِ ، وزيادة واو مع همزة أكبر ، فإِنَّ جميع ذَلِكَ مُبْطِلٌ لِلتَّكْبير ، كما يُبْطِلُ مَا وَقَعَ قَبْلَ الْعِلْمِ بِدُخُول وَقْت مَا أُحْرِمْ لَهُ منْ فرض أو سُنَّةٍ ، وأمَّا زِيادةُ واو قبل همْزَة أَكْبَرُ أَوْ قَلْبُ الْهَمْزَةِ واواً أَوْ إشباعُ الْهَاءِ مِنْ اللَّهِ أَوْ وَقْفَةٌ يَسِيرَةٌ بين اللَّهِ وَأَكْبَرُ ، أَوْ تحْرِيكُ الرَّاءِ فَلَا يَبْطُلُ به الإحرامُ[3] ا.هـ.

---

١ - المغني لابن قدامة ج١/٥٤٢.

٢ - مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل ج٤/٦٧.

٣ - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني للنفراوي ج٢/٢٤٠.

استحباب رفع اليدين حذو المنكبين عند تكبيرة الإحرام .

قال النووي رحمه الله : أجمعت الأمة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام[1] .

وقال ابن قدامة رحمه الله : لا نعلم خلافاً في استحباب رفع اليدين عند افتتاح الصلاة ، وقال ابن المنذر : لا يختلف أهل العلم في أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة[2].

صفة رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام :

كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه تارة قبل التكبير وتارة معه وتارة بعده ، وكان عليه الصلاة والسلام يرفع يديه ممدودة الأصابع لا يفرج بينهما ولا يضمها ، وكان يجعلهما حذو منكبيه ، وتارة يرفعهما حتى يحاذي بهما أذنيه ، وكل ذلك ثابت والأمر فيه واسع .

<u>قبل التكبير</u> : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام للصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه ثم كبر[3] .

---

١ – شرح النووي على صحيح مسلم ج٤/٩٥.

٢ – المغني لابن قدامة ج١/٢٨٠.

٣ – رواه مسلم ج٢/٦ رقم ٨٨٨ باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين .

مع التكبير : عن وائل بن حجر الحضرمي رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرفع يديه مع التكبير[1] .

بعد التكبير : عن أبي قلابة أنه رأى مالك بن الحويرث رضي الله عنه إذا صلى كبر ثم رفع يديه ... وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل هكذا[2].

ولا يخفى أن في رفع اليدين حذو المنكبين خضوع واستسلام لله الملك القدوس السلام ، باختيارك وطاعة منك وتعظيماً لله رب العالمين ، ولو أن جباراً في الأرض أراد منك أن تذعن له وتستلم ، فأمرك برفع يديك ومدها لامتلأت خوفاً وهو بشر مثلك فكيف إذا أمرك الجبار الذي بيده ملكوت السموات والأرض أن تستسلم وتقف بين يديه خاضعاً له رافعاً يديك معلناً التسليم التام له ؟.

وكيف إذا صاحب رفع اليدين أن تقول : (الله أكبر) من أعماق قلبك لتعلن فيها البراءة من كل شيء ، فالله سبحانه عندك أكبر من كل شيء . عندها يوافق القول العمل ، ويكونُ رفع اليدين مع التكبير من تمام الخضوع والاستسلام والرهبة .

ولا يخفى أن من معاني التكبير : يا رب أنت العزيز وأنا الذليل الحقير ، أنت القوي وأنا الضعيف ، أنت القادر وأنا العاجز ، أنت الغني وأنا الفقير ... الله أكبر من كل كبير ، الله أكبر مما أخاف وأحذر ، الله أكبر من كل أحد ، من المال والأهل والولد ، من الجوالات والاتصالات ، الله أكبر من الدنيا بأسرها ... .

---

١ - رواه حمد في المسند ج٤١/٦٠ رقم ١٩٣٦١ ، والبيهقي في السنن ج٢/٣٨٠ رقم ٢٤٠٤ .
٢ - رواه مسلم ج٢/٧ رقم ٨٩٠ باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين .

وإن في رفع اليدين حذو المنكبين عند تكبيرة الإحرام ، والنطق بهذه الكلمة العظيمة (الله أكبر) إشارة إلى إقبال المصلي على الله تعالى رغبة بما عنده ، ورفضه للدنيا وجعلها خلف ظهره ، فلا شرود ولا ذهول ولا شغل بغير الصلاة ، فهو في أمر عظيم .

يقول الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله : وهنا كان صلى الله عليه وسلم إذا كبر رفع يديه حذو منكبيه . ويبين الغزالي رحمه الله في هذه الحالة : أن رفع اليدين حذو المنكبين بجعل بطون كفيه إلى القبلة ، وظهورهما إلى الوراء ، ويقول : فيه الإشارة إلى أن المصلي حينما يقف بين يدي الله ويرفع يديه على هذه الحالة ، كأنه يشير إلى إقباله على الله ، ورفض الدنيا وراء ظهره ؛ لأنه يجعل ظهور كفيه إلى الوراء ، فكأنه يقول : أنا تركت أمور الدنيا ، وأقبلت على الله[1] .

وقت إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام :

ذهب جمهور الفقهاء أن وقت إدراك تكبيرة الإحرام يكون عقب تكبيرة الإمام بلا تأخير ، ليس قبل الإمام ، ولا معه ، وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أن تكبيرة الإحرام تكون مع الإمام مقارنة لتكبيرته لا يتقدمها ولا يتأخر عنها ، وذهب بعضهم إلى أن وقت إدراكها ممتد إلى شروع الإمام في قراءة الفاتحة ، وذهب آخرون إلى أن وقت

---

١ - شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم ج١/٣٨٠ .

الإدراك يمتد إلى أن يدرك المأموم آمين أو يدرك شيئاً من القيام أو يدرك الركعة الأولى كما سيأتي بيانه بالتفصيل إن شاء الله .

بيان فيما تدرك به تكبيرة الإحرام :

تدرك تكبيرة الإحرام عند جمهور الفقهاء : بأن يأتي المأموم بتكبيرة الإحرام في وقتها بلا تأخير ، فيكون حاضراً وشاهداً لتكبير الإمام ، ثم يتابع إمامه عقب النطق بها مباشرة ، فإن تراخى المأموم عن النطق بها في وقتها ، فلا يعد مدركاً لتكبيرة الإحرام .

قال الإمام النووي رحمه الله : قوله صلى الله عليه وسلم : (فإذا كبر فكبروا)[1] **فيه أمر المأموم بأن يكون تكبيره عقب تكبيرة الإمام** ، ويتضمن مسألتين :

إحداهما : أنه لا يكبر قبله ولا معه بل بعده ، فلو شرع المأموم في تكبيرة الإحرام ناوياً الاقتداء بالإمام ، وقد بقي للإمام منها حرف لم يصح إحرام المأموم بلا خلاف ؛ لأنه نوى الإقتداء بالإمام بمن لم يصر إماماً ، بل بمن سيصير إماماً إذا فرغ من التكبير .

والثانية : أنه **يستحب كون تكبيرة المأموم عقب تكبيرة الإمام ولا يتأخر** ، فلو تأخر جاز ، وفاته كمال فضيلة تعجيل التكبير[2] .

---

١ – رواه البخاري ج١/١٤٩ ، ومسلم ج١/٣٠٩ رقم ٤١٤ .

٢ – شرح النووي على صحيح مسلم ج٤/١٢٠ .

قلت : وهذا القول الذي ذهب إليه الإمام النووي رحمه الله اعتبره في المجموع من أصح الأقوال [1] .

وقال الخطيب الشربيني رحمه الله : وإنما تحصل ـ أي تكبيرة الإحرام ـ **بالاشتغال بالإحرام عقب إحرام إمامه ، مع حضوره تكبيرة إحرامه** ، لحديث الشيخين : (إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا) والفاء للتعقيب[2] .

وقال المناوي الشافعي رحمه الله : وإنما يحصل فضلها **بشهود التكبير مع الإمام والإحرام معه عقب إحرامه** ، فإن لم يحضرها ، أو تراخى فاتته [3] .

وقال ابن عبد البر رحمه الله : قال مالك : **إذا كبر الإمام كبر المأموم بعده** ، ويكره له أن يكبر في حال تكبيره ، وإن كبر في حال تكبيره أجزاه ، وإن كبر قبله لم يجزه [4] .

---

١ – المجموع للنووي ج٤/٢٠٦ . قلت : فكم من رجل محروم ، يأتي المسجد مبكراً ، لكنه يتراخى عن تكبيرة الإحرام ، ويفوته إدراكها ، فتراه منشغلاً بصلاة النافلة ، وقد أقيمت الفريضة ، أو منشغلاً بقراءة ورده من القرآن الكريم ، ويريد أن ينهي السورة أو الجزء ثم يلتحق بالصلاة ، أو منشغلاً بالتلفظ بالنية كقوله : (نويت أن أصلي لوجه الله تعالى أربع ركعات صلاة فرض الظهر متطهراً مستقبلاً القبلة ...) وكأنه يعدد شروط الصلاة ، وذلك لجهله بالسنة ، وبفضل إدراك التكبيرة الأولى والله أعلم .

٢ – مغني المحتاج للخطيب الشربيني ج١/٢٢٩ .

٣ – فيض القدير للمناوي الشافعي ج٢/٥٠٩ .

٤ – التمهيد لابن عبد البر ج٩/١٨٧ .

وقال ابن ضويان الحنبلي رحمه الله : **ومن أحرم مع إمامه أو قبل إتمامه لتكبيرة الإحرام لم تنعقد صلاته**، أي : المأموم ؛ لأن شرطه أن يأتي بها بعد إمامه وقد فاته ؛ ولأنه ائتم بمن لم تنعقد صلاته ، والأولى للمأموم أن يشرع في أفعال الصلاة بعد إمامه لحديث : (إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا)[1] .

وقال العيني الحنفي رحمه الله في عمدة القاري : ومنها : أن **أبا حنيفة** احتج بقوله : (فكبروا) على أن **المقتدي يكبر مقارناً لتكبير الإمام لا يتقدم الإمام ولا يتأخر عنه** ؛ لأن الفاء للحال . **وقال أبو يوسف ومحمد : الأفضل أن يكبر بعد فراغ الإمام من التكبير** ؛ لأن الفاء للتعقيب ، وإن كبر مع الإمام أجزأه عند محمد رواية واحدة وقد أساء ، وكذلك في أصح الروايتين عن أبي يوسف[2] .

وقال شيخنا المبارك محمد بن محمد المختار الشنقيطي حفظه الله في شرحه لزاد المستقنع : وأما الضابط في إدراك تكبيرة الإحرام ، **فالصحيح أن الضابط هو أن دركها قبل أن يبدأ بقراءة الفاتحة** ، فإذا كبّر الإمام وأدركت التكبيرة قبل أن يبدأ الإمام بقراءة الفاتحة فأنت مدرك لفضل هذه التكبيرة . فإذا كانت الصلاة سرية كصلاة الظهر والعصر، فإنهم قالوا : يقدر الزمان ، فإن قدر زمناً يقرأ فيه الإمام بدعاء الاستفتاح فإنه حينئذٍ إذا وقع تكبيره في ذلك الزمان أدرك وإلا فلا. والله تعالى أعلم[3].

---

١ – منار السبيل لابن ضويان ج١/٨٨ .

٢ – انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ج٤/١٠٧ .

٣ – انظر شرح زاد المستقنع للشنقيطي ج٣/٣٢٢.

وروي عن وكيع بن الجراح رحمه الله ، أنه سئل عن حد التكبيرة الأولى ، فقال : ما لم يختم الإمام بفاتحة الكتاب ، واحتج بحديث بلال رضي الله عنه : يا رسول الله لا تسبقني بآمين[1] .

وقال الملا علي القاري في شرح مسند أبي حنيفة : والأصح أن من أدرك الإمام قبل تكبيرة الركوع فقد أدرك التكبيرة الأولى[2].

والخلاصة : اختلف العلماء في إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام إلى سبعة أقوال :

الأول : حضور وشهود التكبير مع الإمام والإحرام عقب إحرامه بلا تأخير ، لا قبله ولا معه ، وهذا مذهب الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة ، وهو قول أبي يوسف ومحمد من الحنفية .

والثاني : حضور وشهود التكبير مع الإمام والإحرام معه ، لا قبله ولا بعده ، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة رحمه الله .

والثالث : يدرك المأموم تكبيرة الإحرام ما لم يشرع الإمام في قراءة الفاتحة ، وقد ذكر هذا القول الإمام النووي في المجموع[3] ، وفي روضة الطالبين[4] ، والدهلوي في شرح سنن ابن ماجة[5] ، وقد صحح هذا القول شيخنا المبارك محمد بن محمد

---

١ – طبقات المحدثين بأصبهان للأنصاري ج٣/٢١٩ رقم ٣٢٢.

٢ – انظر شرح مسند أبي حنيفة للملا علي القاري ج١/١٥٢.

٣ – المجموع للنووي ج٤/٢٠٦ .

٤ – روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي ج١/١٢٥.

٥ – إنجاح الحاجة شرح سنن ابن ماجة لعبد العني الدهلوي ج/١/٥٨ رقم ٧٩٨ .

المختار الشنقيطي حفظه الله في شرحه لزاد المستقنع لدى جوابه عن سؤال بهذا الخصوص[1] .

والرابع : من أدرك آمين مع إمامه فقد أردك معه فضيلة تكبيرة الإحرام ، وهذا قول مروي عن وكيع رحمه الله[2] .

والخامس : من أدرك شيئاً من القيام فقد أدرك تكبيرة الإحرام ، ذكره النووي في المجموع .

والسادس : من أدرك الركعة الأولى مع الإمام فقد أدرك تكبيرة الافتتاح ، ذكره النووي في المجموع ، وصحح هذا القول الملا علي القاري في شرحه لمسند أبي حنيفة رحمه الله كما سبق بيانه .

والسابع : إن شغل المكلف بأمر دنيوي عن تكبيرة الإحرام لم يدركها بالركوع ، وإن منعه عذر أو سبب للصلاة كالطهارة أدركها بالركوع ، ذكره النووي في المجموع .

وتأول الغزالي رحمه الله في كتابه البسيط القولين الخامس والسادس بقوله : هما فيمن لم يحضر إحرام الإمام ، فأما من حضر وأخر فقد فاته فضيلة التكبيرة ، وإن أدرك الركعة[3].

---

١ – انظر شرح زاد المستقنع للشنقيطي ج٣/٣٢٢.

٢ – فتح الباري لابن رجب الحنبلي ج٥/٢٥٨.

٣ – المجموع للنووي ج٤/٢٠٦ .

قلت : ولا يخفى أن محل البحث إدراكُ تكبيرة الإحرام وليس إدراكُ التأمين أو إدراك شيء من القيام في الركعة الأولى أو إدراكُ الركعة الأولى ، وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله ما روي عن وكيع رحمه الله فقال : لا تدرك فضيلة تكبيرة الإحرام إلا بإدراكها مع الإمام [1] . وإذا أنكر الإمام أحمد رحمه الله القول الرابع فالقول الخامس والسادس أولى بالإنكار . لكن يمكن أن نستدل لباقي الأقوال ما ورد في بعض روايات الحديث بلفظ : (من صلى في مسجدٍ جماعة أربعين ليلة **لا تفوته الركعة الأولى** من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقاً من النار) إلا أن هذه الرواية بهذا اللفظ ضعيفة [2] ويمكن أن نقول أيضاً أن من أدرك الركعة الأولى فقد أدرك الصلاة كاملة بما فيها تكبيرة الإحرام ، والذي يظهر أن القول الأول هو الأقوى والأقرب للصواب ، والذي دلت عليه الأدلة ، وهو مذهب جمهور الفقهاء وصححه النووي في المجموع ، وما ذهب إليه أبو حنيفة رحمه الله من أن الفاء للحال يحتمله التأويل ، ولكن الصحيح أن الفاء للتعقيب كما ذهب إليه الجمهور، أما باقي الأقوال فقد جعلت وقت تكبيرة الإحرام يمتد إلى إدراك الركوع في الركعة الأولى ، والرواية في ذلك وإن كانت ضعيفة ، لكن يعمل بها في فضائل الأعمال ، وفضل الله واسع وعظيم ، والله أعلم بالصواب .

---

١ - فتح الباري لابن رجب الحنبلي ج٥/٢٥٨.

٢ - هذه الرواية بهذا اللفظ ضعيفة. قال الهيثمي في الزوائد : فيها إرسال وضعف. وقال الترمذي والدارقطني : لم يدرك عمارة أنساً ولم يلقه . وإسماعيل كان يدلس . وقال الألباني: حسن دون قوله: (لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء) انظر سنن ابن ماجة ج١/٢٦١ رقم ٧٩٨ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، وصحيح وضعيف سنن ابن ماجة للألباني ج٢/٣٧٠ رقم ٧٩٨.

مسألة : هل يجزئ الدخول في الصلاة بغير قول : (الله أكبر) ؟.

قال ابن عبد البر رحمه الله : وأجمع جمهور العلماء على أن التكبير في افتتاح الصلاة لا يجزئ منه غيره من سائر الذكر تهليلا كان أو تسبيحا أو تحميدا ، وعلى هذا مذهب الحجازيين مالك والشافعي ومن اتبعهم وأكثر العراقيين ، وروي عن الحكم بن عتبة قال : إذا ذكر الله مكان التكبير أجزأه . وقال أبو حنيفة : إن افتتح بلا إله إلا الله يجزيه ، وإن قال : اللهم اغفر لي لم يجزه . ولا يجزئ عند مالك إلا (الله أكبر) لا غيره . وكذلك قال الشافعي وزاد ويجزي الله الأكبر ، ولا يجزئ عند المالكيين الله الأكبر[1].

وقال ابن قدامة رحمه الله : ولا يجزئ للدخول في الصلاة بغير قول : (الله أكبر) عند جمهور الفقهاء ، وهو مذهب الثوري ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، وعلى هذا عامة أهل العلم في القديم والحديث ، وذهب أبو حنيفة بأن الصلاة تنعقد بكل اسم لله تعالى على وجه التعظيم ، كقوله : الله عظيم ، أو كبير ، أو جليل . قال الحاكم : لأنه ذكر الله تعالى على وجه التعظيم أشبه قوله : الله أكبر ، واعتبر ذلك بالخطبة ، حيث لم يتعين لفظها [2]ا.هـ.

وقال أيضاً رحمه الله : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بقوله : (الله أكبر) لم ينقل عنه عدول عن ذلك حتى فارق الدنيا ، وهذا يدل على أنه

---

١ - الاستذكار لابن عبد البر ج١/٥٢٢.

٢ - المغني لابن قدامة ج١/٥٤٠.

لا يجوز العدول عنه وما قاله أبو حنيفة يخالف دلالة الأخبار فلا يصار إليه ، ثم يبطل بقوله : اللهم اغفر لي ، ولا يصح القياس على الخطبة ؛ لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها لفظ بعينه في جميع خطبه ولا أمر به ولا يمنع من الكلام فيها والتلفظ بما شاء من الكلام المباح والصلاة بخلافه [1] ا.هـ.

قلت : رحم الله الإمام الحاكم رحمة واسعة ، فإن قياسه تكبير الصلاة على الخطبة التي لم يتعين لفظها ، قياس في مقابل النص ، وتكبير الصلاة تعين لفظه بـ (الله أكبر) وهو التكبير المعهود الذي نقلته الأمة نقلاً ضرورياً خلفاً عن سلف عن نبيها صلى الله عليه وسلم لا يقول غيره ، ولا مرة واحدة ، ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم عدوله عن هذا اللفظ المخصوص حتى فارق الدنيا ، والصلاة عبادة مخصوصة ، وأذكارها مخصوصة ، وهذا يدل على أنه لا يجوز العدول عنه ، كما قال ابن قدامه رحمه الله ، والأظهر أن ما ذهب إليه الجمهور هو الأقوى والأصح ، والله أعلم .

مسألة : هل يجزئ التكبير باللغة الأعجمية ؟.

لا يجزئ التكبير بغير اللغة العربية للقادر عليها عند جمهور الفقهاء ، وهو مذهب مالك والشافعي والحنابلة وأبو يوسف ومحمد من الحنفية ؛ لأن النبي صلى الله

---

١ - المرجع السابق .

عليه وسلم كان يكبر بالعربية ، ولم يعدل عن ذلك أبداً ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (صلوا كما رأيتموني أصلي)[1] .

قال الإمام مالك رحمه الله : لا يُحرم بالعجمية ، ولا يدعو بها ، ولا يحلف بها[2].

وقال ابن قدامة رحمه الله : ولا يجزئه التكبير بغير العربية مع قدرته عليها وبهذا قال الشافعي وأبو يوسف ومحمد ، وقال أبو حنيفة : يجزئه لقول الله تعالى : (وذكر اسم ربه فصلى) وهذا قد ذكر اسم ربه .

ولنا : ما تقدم من النصوص وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعدل عنها وهذا يخص ما ذكروا ، فان لم يحسن العربية لزمه تعلم التكبير بها ، فان خشي فوات الوقت كبر بلغته ذكره القاضي في المجرد وهو مذهب الشافعي ، وقال القاضي في الجامع : لا يكبر بغير العربية ويكون حكمه حكم الأخرس كمن عجز عن القراءة بالعربية لا يعبر عنها بغيرها ، والأول أصح ؛ لأن التكبير ذكر الله وذكر الله تعالى يحصل بكل لسان ، وأما القرآن فانه عربي فإذا عبر عنه بغير العربية لم يكن قرآناً والذكرُ لا يخرج بذلك عن كونه ذكراً [3] .

---

١ – رواه البخاري ج١/٢٦٦ رقم ٦٠٥.

٢ – انظر المدونة الكبرى ج١/١٢٣ .

٣ – المغني ج١/٥٤٢ .

وقال الإمام النووي رحمه الله : اعلم أنه لا يصحُّ التكبير بالعجمية لمن قدر عليه بالعربية ، وأما من لا يقدر فيصحّ ، ويجب عليه تعلّم العربية ، فإن قصَّرَ في التعلم لم تصحّ صلاته وتجب إعادة ما صلاَّه في المدة التي قصَّرَ فيها عن التعلم [١] ا.هـ.

وقال في مغني المحتاج : ويلزم السيد أن يعلم غلامه العربية لأجل التكبير ، أو يخليه ليكتسب أجرة المعلم ، فلو لم يعلمه واستكسبه عصى بذلك [٢] ا.هـ.

قلت : فالواجب على المسلم الأعجمي أن يسارع في تعلم اللسان العربي ، ليتعلم التكبير وما يقيم به صلاته باللسان العربي ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، واللسان العربي لسان ميسر يستطيعه كل أحد ، والله تعالى لم يكلف عباده مالا يستطيعون ، وإن وجد شيخاً كبيراً حاول التعلم ولم يحسن التكبير بالعربية ، فإنه يكبر بما يستطيعه من اللسان العربي، والله تعالى يقول : (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) [٣] ومن خشي خروج الوقت قبل أن يتعلم لفظ (الله أكبر) باللسان العربي ، فإنه يكبر بلغته كما ذهب إليه الإمام الشافعي وصححه ابن قدامة في المغني [٤] .

---

١ – الأذكار للنووي ج١/١٠٩.

٢ – مغني المحتاج للخطيب الشربيني ج١/١٥٠.

٣ – البقرة الآية ٢٨٦.

٤ – المغني لابن قدامة ج١/٥٤٢ .

ولا يخفى أن معنى (يُكبر بلغته) أي ريثما يتعلم لفظ (الله أكبر) باللسان العربي والمسألة تقدر بقدرها ـ بوقت أو وقتين أو أكثر أو أقل بحسب قدرة واستطاعة المتعلم ـ وليست المسألة على إطلاقها[1] ، والله أعلم .

---

١ – وعلى المسلم صاحب اللسان العربي أن يبادر في تعليم العربية لأخيه المسلم الأعجمي ، وبذلك يصير اللسان العربي متبوعاً لا تابعاً ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه الرسالة ص٤٦ : (وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ـ والله أعلم ـ وهذه فتوى من الإمام الشافعي ـ أن يكون أهل لسانه أتباعاً لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه) . ا.هـ.

رطانة المسلم باللسان الأعجمي لغير حاجة منهي عنها ، كمن اعتادها وصار يرطن بها في عموم احواله وأوقاته في الصباح والمساء (بنجور ، بنسوار ، هلو أو آلو ، بابا ، ماما ، مستر ، ميسو ، مدام ، سسنتر ، بليز ، أوكيه ، باي باي ، بنطلون ، جاكيت ، كرافيت ، فنيلا ...) وغير ذلك من الألفاظ الأعجمية التي استحوذت على كثير من الخاصة فضلاً عن العامة ، فهذا من التشبه باليهود والنصارى وتقليدهم واتباع سننهم حذو القذة بالقذة ، ولا مبرر للمسلم العزيز أن يكلم أخاه المسلم بالأعجمية لغير حاجة ـ كتعليمه لها ـ أما أن يؤول الأمر إلى الرطانة بها مع الصغير والكبير من غير حاجة في كل وقت ، وبمناسبة وبدون مناسبة ، فهذا من المسارعة في اليهود والنصارى ، قال تعالى : (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) المائدة الآية ٥٢. وقد جاءت آثار السلف الصالح في التحذير من الرطانة منها : قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إياكم ورطانة الأعاجم) سنن البيهقي ج٩/٢٣٤ رقم ١٨٦٤٠ ، ومصنف ابن أبي شيبة ج٥/٢٩٩ رقم ٢٦٢٨١ ومصنف عبد الرزاق ج١/٤١١ رقم ١٦٠٩ ، وكنز العمال للهندي ج٣/٨٨٦ رقم ٩٠٣٤ ، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ج١/٥١١ .

المطلب الثاني : حكم تكبيرة الإحرام ، وحكم إدراكها مع الإمام .

أولاً : حكم تكبيرة الإحرام :

تكبيرة الإحرام ركن عند جمهور الفقهاء ، فمن لم يأت بها لم تصح صلاته فريضة كانت أو نافلة ، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير)[1] ، ولقوله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته : (إذا قمت إلى الصلاة فكبر)[2] فإن نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد علم المسيء صلاته ما كان واجبا عليه ، وسكت عن رفع اليدين وعن سائر المستحبات ، فعُلم بذلك أن تكبيرة الإحرام فعلها واجب في الصلاة .

قال ابن قدامة رحمه الله : والتكبير ركن في الصلاة ، لا تنعقد الصلاة إلا به سواء تركه عمداً أو سهواً ، وهذا قول ربيعة ومالك والثوري والشافعي وإسحاق وأبي ثور وابن المنذر ، وقال سعيد بن المسيب والحسن والزهري وقتادة والحكم والأوزاعي : من نسي تكبيرة الافتتاح أجزأته تكبيرة الركوع ، ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم : (تحريمها التكبير) يدل على أنه لا يدخل في الصلاة بدونه[3] .

---

١ – رواه أحمد في المسند ج٣/٢٤ رقم ١٠١٨ ، والترمذي ج١/٨ رقم ٣ وقال : هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن . وأبو داود ج١/٦٣ رقم٦١، وابن ماجة ج١/١٠١ رقم٢٧٥، والحاكم في المستدرك ج١/٤٤٤ رقم ٤٢٠ وقال : حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم . انظر صحيح الجامع للألباني رقم ٥٨٨٥.

٢ – رواه البخاري ج١/٢٦٣ رقم ٧٢٤ ، ومسلم ج١/٢٩٨ رقم ٣٩٧ .

٣ – المغني لابن قدامة ج١/٥٤٠.

وقال النووي رحمه الله : والجمهور أن تكبيرة الإحرام فرض من فروض الصلاة وجزء منها ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : ليست منها بل هي شرط خارج عنها متقدم عليها [1] .

قلت : هذا الركن الثاني من أركان الصلاة وهو تكبيرة الإحرام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالركن الأول وهو القيام مع القدرة في صلاة الفريضة ، فيجب على المصلي في صلاة الفرض أن يأتي بتكبيرة الإحرام قائماً .

قال في الروض المربع : فإن أتى بالتحريمة أو ابتدأها أو أتمها غير قائم صحت نفلاً إن اتسع الوقت [2] .

وقال ابن ضويان رحمه الله في منار السبيل : (إذا قمت إلى الصلاة فكبر) وقال: (تحريمها التكبير وتحليلها التسليم) رواه أبو داود . يقولها : قائماً فإن ابتدأها أو أتمها غير قائم صحت نفلاً لما تقدم [3] .

وهنا مسائل :

المسألة الأولى : ما حكم من كبر تكبيرة الإحرام وهو منحني ؟.

قال ابن قدامة رحمه الله : وعليه أن يأتي بالتكبير قائماً ، فان انحنى إلى الركوع بحيث يصير راكعاً قبل إنهاء التكبير لم تنعقد صلاته إلا أن تكون نافلة لسقوط القيام

---

١ - شرح النووي لصحيح مسلم ج٥/٢١.

٢ - الروض المربع للبهوتي ج١/١٧ .

٣ - منار السبيل لابن ضويان ج١/٦١.

فيها ويحتمل أن لا تنعقد أيضاً ؛ لأن صفة الركوع غير صفة القعود ولم يأت بالتكبير قائماً ولا قاعداً ، ولو كان ممن تصح صلاته قاعداً كان عليه الإتيان بالتكبير قبل وجود الركوع منه . وقال القاضي : إن كبر في الفريضة في حال انحنائه إلى الركوع انعقدت نفلاً ؛ لأنها امتنع وقوعها فرضاً وأمكن جعلها نفلاً ، فأشبه من أحرم بفريضة فبان أنه لم يدخل وقتها[1] .

قلت : ومثل هذه المسألة لو أن إنساناً كان جالساً فيكبر الإمام تكبيرة الإحرام ، فيقوم فيستعجل فيكبر تكبيرة الإحرام قبل أن يستتم قيامه ، فلا تنعقد تكبيرة الإحرام ؛ لأن من شروط انعقادها أن يكون قائماً كما أمر الله عز وجل ، فإذا كان أثناء قيامه وانتصابه رفع يديه وكبّر ولم يستتم ، بحيث أمكن لليدين أن تنال الركبتين ، وهو الانحناء المؤثِّر، فهذا لا يُعتد بتكبيره ؛ لأن هذا الركن ـ وهو تكبيرة الإحرام ـ يُشترط فيه أن يكون في حال القيام ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (إذا قمت إلى الصلاة فكبر). فدل على أن القيام يسبق التكبير، ومن فعل هذا الفعل فقد سبق تكبيره القيام، فلم يصلِّ كما أمره الله[2] .

---

١ – المغني لابن قدامة ج١/٥٤٣.

٢ – شرح زاد المستقنع للشنقيطي ج٢/٩١.

المسألة الثانية : المعذور الذي لا يستطيع أن يأتي بتكبيرة الإحرام وهو قائم .

المعذور الذي لا يستطيع القيام يصلي حسب استطاعته ، والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وفي هذه المسألة تفصيل ، ولم أجد من فصل فيها مثل شيخنا المبارك الفقيه محمد بن محمد المختار الشنقيطي في شرحه لزاد المستقنع .

يقول حفظه الله : المعذور الذي لا يستطيع القيام يصلي قاعداً ، وهيئة القعود تختلف ، فبعض الأحيان لا يستطيع أن يصلي قاعداً إلا على علو ونَشَز، كأن يجلس على دكةً أو سرير أو كرسي، فهذا الجلوس ينبغي أن يُفَصَّل فيه، فإن كان قادراً على القيام في تكبيرة الإحرام ، فلا يأتي ويجلس مباشرة ويكبر، وإنما يكبر قائماً ؛ لأنه بإمكانه أن يكبر في حال القيام ، ثم يجلس إذا كان يشق عليه أن يقوم ، وإن كان يمتنع أو يصعب عليه أن يقوم، كالحال في المشلول ، فإنه يكبر وهو جالس ، أما إذا كان يمكنه أن يقف فإنه يقف ويجعل الكرسي وراءه ولا حرج ، فإن أدركته المشقة رجع فجلس ، كما هي القاعدة في الفقه : أن الضرورة تقدر بقدرها ، ويتفرع عنها أن ما أبيح للحاجة يُقَدَّر بقدْرِها. فلما كانت ضرورته أن القيام يشق عليه نقول : كبِّر قائماً ثم اجلس . لكن لما كانت الضرورة أن يتعذر عليه القيام قلنا : كبِّر جالساً ولا حرج . فهذا له قدره وهذا له قدره ، فيُنَبَّه الناس ؛ لأنك قد ترى الرجل يكبر وهو جالس مع أنه يستطيع أن يقف ، وقد يقف ويتناول الكرسي ويخرج به وهو حاملٌ له ، فمثل هذا لا

يُرَخَّص له أن يؤدي الركن وهو تكبيرة الإحرام في حال قعوده ، فهذا يُنَبَّه عليه ، فإن تعذر عليه القيام قلنا : يجلس[1].

ثانياً : حكم إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام .

إدراك تكبيرة الإحرام سنة مؤكدة .

قال الملا علي القاري رحمه الله : روى البزار وأبو داود خبر : (لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى فحافظوا عليها)[2] ومن ثم كان إدراكها سنة مؤكدة ، وكان السلف إذا فاتتهم عزوا أنفسهم ثلاثة أيام ، وإذا فاتتهم الجماعة عزوا أنفسهم سبعة أيام[3] . قال المباركفوري في تحفة الأحوذي : (وإنما يروى هذا عن حبيب بن أبي حبيب البجلي)[4] .

---

١ - شرح زاد المستقنع للشنقيطي ج٢/٩٢.

٢ - انظر شعب الإيمان للبيهقي ج٣/٧٣ رقم٢٩٠٨ ، ومسند أبي يعلى ج١١/٣ رقم ٦١٤٣ ، وقال المحقق حسين سليم الأسد : إسناده ضعيف جداً ، والفردوس للديلمي ج٣/٣٣١ رقم ٤٩٩٤ . وضعيف الجامع للألباني رقم ٤٧٢٧ .

٣ - انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري ج٤ /٢٥٦ باب ما على المأموم من المتابعة للإمام ، وشرح سنن ابن ماجة للسيوطي وآخرين ج١/٥٨.

٤ - انظر تحفة الأحوذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري ج٢/٤٠ باب في فضل التكبيرة الأولى . قلت : هذا الأثر مروي عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد ضعيف ، قال ابن حجر رحمه الله في التلخيص : وروى العقيلي في الضعفاء أيضا عن أبي هريرة مرفوعاً : (لكل شيء صفوة وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى) وقد رواه البزار وليس فيه إلا الحسن بن السكن لكن قال : لم يكن الفلاس يرضاه . ولأبي نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن أبي أوفى مثله وفيه الحسن بن عمارة وهو ضعيف . وروى ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث أبي الدرداء رضي =

وهنا مسائل :

المسألة الأولى : النهي عن صلاة النافلة بعد الإقامة والحكمة منه .

عن مالك بن بحينة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً وقد أقيمت الصلاة يصلي ركعتين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاث به الناس ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصبح أربعاً !! الصبح أربعاً !!)[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا قيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة)[2] .

قال الترمذي رحمه الله : العمل على هذا عند [بعض] أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ، إذا أقيمت الصلاة أن لا يصلي الرجل إلا المكتوبة وبه يقول سفيان [الثوري] وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق[3] ا.هـ .

= الله عنه رفعه : (لكل شيء أنف وإن أنف الصلاة التكبيرة الأولى فحافظوا عليها) وفي إسناده مجهول . انظر التلخيص الحبير ج٢/٢٨ .

١ – رواه البخاري ج١/٢٣٥ رقم ٦٣٢ ، ومعنى لاث به الناس : أي أحاط .

٢ – رواه مسلم ج١/٤٩٣ رقم ٧١٠ ، والترمذي ج٢/٢٨٢ ، وابن ماجة ج١/٣٦٤ . قال في شرح سنن ابن ماجة : قوله (فلا صلاة إلا المكتوبة) نفي بمعنى النهي . مثل قوله تعالى : (فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) البقرة الآية ١٩٧.

٣ – انظر سنن الترمذي ج٢/٢٨٢ .

وقال النووي رحمه الله : قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا أقيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة) وفي الرواية الأخرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مر برجل يصلي ، وقد أقيمت صلاة الصبح ، فقال : (يوشك أن يصلي أحدكم الصبح أربعاً) فيه النهي الصريح عن افتتاح نافلة بعد إقامة الصلاة سواء كانت راتبة كسنة الصبح والظهر والعصر أو غيرها ، وهذا مذهب الشافعي والجمهور ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : إذا لم يكن صلى ركعتي سنة الصبح صلاهما بعد الإقامة في المسجد ما لم يخش فوت الركعة الثانية ، وقال الثوري : ما لم يخش فوت الركعة الأولى ، وقالت طائفة : يصليهما خارج المسجد ولا يصليهما بعد الإقامة في المسجد . قوله صلى الله عليه وسلم : (أتصلي الصبح أربعاً ؟) هو استفهام إنكاري ، ومعناه أنه لا يشرع بعد الإقامة للصبح إلا الفريضة ، فإذا صلى ركعتين نافلة بعد الإقامة ، ثم صلى معهم الفريضة صار في معنى من صلى الصبح أربعاً ؛ لأنه صلى بعد الإقامة أربعاً ، قال القاضي : والحكمة في النهي عن صلاة النافلة بعد الإقامة أن لا يتطاول عليها الزمان ، فيظن وجوبها وهذا ضعيف ، **بل الصحيح أن الحكمة فيه أن يتفرغ للفريضة من أولها ، فيشرع فيها عقب شروع الإمام ، وإذا اشتغل بنافلة فاته الإحرام مع الإمام ، وفاته بعض مكملات الفريضة ، فالفريضة أولى بالمحافظة على إكمالها**، قال القاضي : وفيه حكمة أخرى وهو النهي عن الاختلاف على الأئمة . وقوله : (دخل رجل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الغداة ، فصلى ركعتين في جانب المسجد ، ثم دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

يا فلان بأي الصلاتين اعتددت ، أبصلاتك وحدك أم بصلاتك معنا !!) فيه دليل على أنه لا يصلي بعد الإقامة نافلة ، وإن كان يدرك الصلاة مع الإمام ورد على من قال : إن علم أنه يدرك الركعة الأولى أو الثانية يصلي النافلة[1] ا.هـ .

قلت : وفي الأثر عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه سئل : لأي شيء كُرهت الصلاة عند الإقامة ؟ قال : مخافة التكبيرة الأولى[2] .

قد سألتُ شيخنا المبارك موسى بن محمد شحادة الرحيبي[3] رحمه الله ، عن الرجل يسمع إقامة الصلاة وهو يصلي النافلة ، فأفادني أنه سأل شيخه مفتي الحنابلة في الشام فضيلة الشيخ أحمد بن صالح الشامي رحمه الله عن ذلك ، فأجابه : إذا كان الرجل لم يركع الركعة الثانية في صلاة النافلة ، فإنه يدع صلاة النافلة ويصلي صلاة الفريضة ، وإذا كان الرجل قد ركع الركعة الثانية ، فإنه يتم صلاة النافلة خفيفة ثم يصلي الفريضة .

والمراد بذلك في كلا الحالين أن يدرك الرجل تكبيرة الإحرام مع الإمام ، فإذا كان الرجل في الركوع الثاني في النافلة وأتمها خفيفة ، فإنه يدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام

---

١ - شرح النووي على صحيح مسلم ج٥/٢٢٣، ٢٢٤.

٢ - الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ج١/١٢٤ رقم ١٠٨. والنخعي هو الإمام الحافظ فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي اليماني ثم الكوفي أحد الأعلام ، ت ٩٦هـ . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج٤/٥٢٠ رقم ٢١٣.

٣ - صاحب الذهب المنجلي في الفقه الحنبلي ، وهو نظم لكتاب دليل الطالب للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي رحمه الله .

ريثما تنتهي إقامة الصلاة وتسوى الصفوف ، وإذا كان قبل الركوع الثاني فإنه ـ في الغالب ـ لا يدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام ، لذلك فإنه يدع النافلة ، ويصلي الفريضة والله أعلم .

المسألة الثانية : هل يسرع المصلي إذا خاف فوات تكبيرة الإحرام وطمع في إدراكها ؟.

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله : اختلف أهل العلم في المشي إلى المسجد ، فمنهم من رأى الإسراع إذا خاف فوت التكبيرة الأولى حتى ذكر عن بعضهم أنه كان يهرول إلى الصلاة ، ومنهم من كره الإسراع ، واختار أن يمشي على تؤدة ووقار وبه يقول أحمد ، **والعمل على حديث أبي هريرة** ، وقال إسحاق : إن خاف فوت التكبيرة الأولى فلا بأس أن يسرع في المشي[1] .

قلت : العمل عند جمهور السلف الصالح رحمهم الله في المشي إلى المسجد بسكينة ووقار وكراهية الإسراع مطلقاً ، عملاً بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا)[2] . وقد لاحظ بعضهم الحكمة من النهي عن الإسراع ، أن المسرع يصل إلى الصلاة وقد انبهر وتعب فلا يحصل له الخشوع في الصلاة .

---

١ - انظر سنن الترمذي ج٢/١٤٨ حديث رقم ٣٢٧ .

٢ - رواه البخاري ج١/٢٢٨ رقم ٦١٠ ، ومسلم ج١/٤٢٠ رقم ٦٠٢ .

وذهب طائفة من السلف الصالح رحمهم الله إلى التفريق بين الإسراع الشديد وهو العدو والجري ونهوا عنه ، وبين الإسراع اليسير أو الجد في السير وهو مقاربة الخطى أو المشي السريع وهو دون العدو ويسمى السعي[1] ورخصوا فعله ، فمن خاف فوت تكبيرة الإحرام مع الإمام وطمع في إدراكها فله أن يسرع شيئاً يسيراً ما لم يكن عجلة تقبح ، وإذا لم يخف فواتها مشى على هيئته ولم يسرع .

كما فرقوا بين الإسراع مطلقاً لإدراك الركعة ونهوا عنه ؛ لأن فواتها يقضى ، وبين الإسراع اليسير لمن سمع الإقامة وطمع أن يدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام ورخصوا فعله[2] ؛ لأن فواتها لا يُقضى ولا ينجبر .

---

١ - السعي : المشي السريع وهو دون العدو . انظر مفردات غريب القرآن للأصفهاني ج١/٢٣٣.

٢ - وقد روي في ذلك بعض الآثار منها : أولاً : ما رواه الطبراني في المعجم الكبير ج٩/٢٥٤ رقم ٩٢٥٩ : عن رجل من طيء عن أبيه أن ابن مسعود رضي الله عنه خرج إلى المسجد فجعل يهرول فقيل له : أتفعل هذا وأنت تنهى عنه ؟ قال : إنما بادرت حد الصلاة التكبيرة الأولى . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٢/٣٢ : رواه الطبراني في الكبير وفيه من لم يسم . ورواه ابن المنذر أبو بكر النيسابوري في الأوسط ج٦/١٢٣ رقم ١٨٨٢. ثانياً : ما رواه الطبراني في المعجم الكبير ج٥/١١٧ رقم ٤٧٩٨ : عن أنس رضي الله عنه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (أقيمت الصلاة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه فقارب بين الخطى وقال : إنما فعلت هذا ليكثر عدد خطاي في طلب الصلاة) . قال الهيثمي : فيه الضحاك بن نبراس وهو ضعيف ، ورواه موقوفاً على زيد بن ثابت ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد ج٢/٤٢ . وقال ابن حجر : الضحاك ضعيف الحفظ والمحفوظ في هذا أنه موقوف على زيد بن ثابت . انظر المطالب العالية ج١/١٣٢. ورواه ابن شاهين في فضائل الأعمال ج١/٥٧ رقم ٥٢ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : **ولا بأس إذا طمع أن يدرك التكبيرة الأولى أن يسرع شيئاً ، ما لم يكن عجلة تقبح** . جاء الحديث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يعجلون شيئاً إذا تخوفوا فوت التكبيرة الأولى وطمعوا في إدراكها وذلك لما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا سمعتم الإقامة فامشوا وعليكم السكينة ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) وعن أبي قتادة قال : بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال : (ما شأنكم ؟) قالوا : استعجلنا إلى الصلاة . قال : (فلا تفعلوا إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) متفق عليهما .

فعلى هذا يكره الإسراع الشديد مطلقاً ، وإن فاته بعض الصلاة ؛ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

ويكره الإسراع اليسير ، **إلا إذا خاف فوت تكبيرة الافتتاح وطمع في إدراكها** ، لما ذكره الإمام أحمد عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يعجلون شيئاً إذا تخوفوا فوت التكبيرة وطمعوا في إدراكها . وقد روى سعيد في سننه عن رجل من طيء قال : كان عبد الله ينهانا عن السعي إلى الصلاة ، فخرجت ليلة فرأيته يشتد إلى الصلاة . فقلت : يا أبا عبد الرحمن كيف تنهانا عن السعي إلى الصلاة ورأيتك الليلة اشتددت إليها ؟ قال : إني وأبيك بادرت حد الصلاة يعني التكبيرة الأولى . **وهذا يدل على أن هذا الموضع غير داخل في نهي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن**

أصحابه أعلم بمعنى ما سمعوه منه ، فإن ابن مسعود من جملة رواة هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسياق الحديث يدل على أن النهي إنما هو لمن فاتته تكبيرة الافتتاح ؛ لأنه في أناس سمع جلبتهم وهو في الصلاة ، وهذا بعد التحريم وفي الحديث الآخر : (إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة) فغالب من يكون بعيد الدار عن المسجد إذا أتى حين يسمع الإقامة تفوته التكبيرة ، والفرق بين هذا الموضع وغيره أنه جاء فضل عظيم فيمن يدرك حد الصلاة ، وإدراك الحد أن يدرك أولها ، وهو أن يدرك الصلاة قبل تكبيرة الإمام ، ليكون خلف الإمام إذا كبر للافتتاح ، وهذا القدر لا ينجبر إذا فات ؛ لأنه يكون مدركا للركعة ولو أدرك الإمام في الركوع ، بخلاف ما إذا فاتته الركعة ، فانه يمكن أن يقضي ما فاته ، وبخلاف ما إذا فاته حد الصلاة فإنه قد أيس من إدراك الحد ، فإذا كان هذا المقصود العظيم الذي لا ينجبر فواته يحصل بإسراع يسير لم يكره ذلك .

فأما الإسراع لإدراك الركعة فباق على عموم الحديث بل هو المقصود منه ؛ لأن الفوات إنما يكون بفوات الركعة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكرة لما أسرع لإدراك الركوع : زادك الله حرصا ولا تعد [1] .

وقال شيخنا المبارك محمد بن محمد المختار الشنقيطي حفظه الله في شرح زاد المستقنع لدى جوابه عن سؤال بهذا الخصوص :

---

١ - انظر شرح العمدة ج٤/٥٩٦ ، ٥٩٨ .

السؤال : أيهما يقدم المسلم حين القدوم إلى الصلاة إذا أراد أن يدرك تكبيرة الإحرام أو الركعة ، هل يسرع إسراعاً لا يخل بمقصود الصلاة من الخشوع ـ كأن يكون سريع المشي عادة ـ أم أنه يمشي بسكينة ويفوته خير بسكينته ؟.

الجواب : الأصل يقتضي عدم الإسراع عند سماع الإقامة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا) إلا أن بعض السلف رحمهم الله خففوا في الإسراع اليسير واحتجوا بحديث قباء : (لما خرج عليه الصلاة والسلام إلى قباء ثم سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع في مشيه) وهذا الإسراع ربما يكون هو مقصود السائل؛ لأنه يوجد إسراع بسعي ، ويوجد إسراع جد في السير، وكان صلى الله عليه وسلم من هديه الخلقي أنه إذا مشى مشى مشية الرجل ولم يمش مشية المتماوت . ولذلك قال الراوي : (كأنه يتحدر من صبب) أي : كأنه نازل من جبل أو نازل من مكان عالٍ ، من قوته ورجولته بأبي وأمي صلوات الله وسلامه عليه ، فالاشتداد بالمشي الذي لا يذهب السكينة ولا يذهب الوقار معفو عنه ، وورد عن طائفة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورخص فيه الأئمة . ولكن الإسراع الذي هو الهرولة والجري فهذا منهي عنه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكرة : (زادك الله حرصاً ولا تعد) أي : لا تعد إلى هذا الإسراع ؛ لأنه سمع منه جلبة ، وعلى هذا

إذا كان الإسراع من الضرب الذي يؤذن به فلا بأس ، وإن كان على خلافه فإنه ممنوع منه ، والله تعالى أعلم [1] .

المسألة الثالثة : إذا سمع الرجل المقيم إقامة الصلاة في المسجد النبوي الشريف ولم تقم الصلاة في مسجد حيه ، فهل يصلي الرجل في المسجد النبوي يرجو ثواب الألف صلاة ، إلا أن تكبيرة الإحرام قد تفوته ، وربما فاتته الركعة الأولى والثانية .. أم أنه يصلي في مسجد حيه أو في المساجد القريبة يدرك فيها تكبيرة الاحرام ، ولكن سيفوته ثواب الألف صلاة في المسجد النبوي الشريف ؟.

لا شك أن إدراك التكبيرة الأولى في مسجد نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هو الخير والأفضل ، رجاء أن ينال الرجل ثواب إدراك تكبيرة الإحرام ، وثواب الألف صلاة ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) [2] فعلى الرجل أن يبادر الصلاة في المساجد المفضلة ويأتي مبكراً ، ليدرك فضل الصلاة فيها ، وفضل إدراك تكبيرة الإحرام معاً ، أما إذا كان ديدن الرجل المواظبة على إدراك تكبيرة الإحرام ، وحصل منه تأخير في نادر الأوقات ، وقد أقيمت الصلاة في المسجد النبوي أو غيره من المساجد المفضلة بحيث لو صلى فيها لفاته إدراك تكبيرة الإحرام ، وربما فاتته الركعة الأولى وضيع حسن الصلاة وخشوعها

---

١ – انظر شرح زاد المستقنع للشنقيطي ج١٥/٣٧٠.

٢ – رواه البخاري ج١/٣٩٨ رقم ١١٣٣ ، ومسلم ج٢/١٠١٢ رقم ١٣٩٤.

ويمكنه أن يصلي في المسجد القريب منه ويدرك تكبيرة الإحرام، فالذي يبدو لي - والله أعلم - أن يصلي الرجل في المسجد الذي يدرك فيه السنة الراتبة وتكبيرة الإحرام ، وإن كان في مسجد حيه ، لما في إدراك تكبيرة الإحرام من فضل عظيم ، وهو أن يكتب للمواظب عليها براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ، كما في حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى ، كتب له براءة من النار وبراءة من النفاق)[1] .

فإذا صلى الرجل في المسجد النبوي فإنه يرجو الله أن يكتب له ثواب الألف صلاة ، لكنه بتأخره عن تكبيرة الإحرام قد حرم نفسه من الفضل العظيم المرجو له بمواظبته على إدراك تكبيرة الإحرام ، براءة من النفاق ، وبراءة من النار ، كما أن صلاة الرجل في مسجد حيه الذي يدرك فيه تكبيرة الإحرام ، وهو حسن الصلاة مطمئن خاشع فيها ، خير له من أن يتأخر عن تكبيرة الإحرام في المسجد النبوي أو المسجد الحرام ، ويأتي إليه عجولاً يلهث لا يدرك الركعة الأولى أو الثانية ويصلي مسبوقاً في الصفوف الأخيرة والله تعالى يقول : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

---

١ - رواه الترمذي ج٢/٧ رقم ٢٤١ ، والبيهقي في شعب الإيمان ج٣/٦١ رقم ٢٨٧٢ ، والقضاعي في مسند الشهاب ج ١/٢٨٥ رقم ٤٦٦ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ج١/١٦٠ رقم ٥٩٣ ، والطبراني في الكبير ج١٣/٣١١ رقم ١٥٣١٦، وانظر التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني ج٢/٢٧ رقم ٥٥٨ ، وصحيح الجامع للألباني م٢ رقم ٦٣٦٥، والسلسلة الصحيحة م٦/١٥١ رقم ٢٦٥٢ . وسيأتي الحديث عنه مفصلاً إن شاء الله .

عَمَلًا ﴾ [1] ، ونبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يقول : (لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يؤخرهم الله في النار) [2].

فالاختبار في حسن العمل وإتقانه ، وليس الاختبار في الكم والعدد ، وقد أوصى نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم معاذ بن جبل رضي الله عنه ، فأخذ بيده وقال له : (يا معاذ ، والله إني لأحبك ، فقال : أوصيك يا معاذ لا تدعنّ في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك **وحسن عبادتك**) وقد أوصى معاذ رضي الله عنه بهذا الصنابحي وأوصى به الصنابحي أبا عبد الرحمن الحبلي ، وأوصى به أبو عبد الرحمن عقبة بن مسلم [3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء ؟ قولوا : اللهم أعنا على شكرك وذكرك **وحسن عبادتك**) [4].

فالرجل الذي يأتي مسجد حيه القريب ، ويصلي فيه السنن ، ويجلس يذكر الله ريثما تقام الصلاة ، فهذا يوقر صلاته ، وهو في الغالب أقرب للخشوع وحسن الصلاة بخلاف الرجل الذي يأتي الصلاة عجولاً يلهث متأخراً عن تكبيرة الإحرام ، قد فاتته

---

١ – الملك الآية ٢ .

٢ – رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها ج١ / ٢٣٨ رقم ٦٧٩ ، وانظر صحيح الجامع للألباني رقم ٧٦٩٩ .

٣ – رواه أبو داود ج٢/٨٦ رقم ١٥٢٢ ، وابن خزيمة ج٦/٣٦٩ رقم ٧٥١ ، وانظر صحيح الجامع للألباني م٢ رقم ٧٩٦٩.

٤ – رواه أحمد في المسند ج٢/٢٩٩ رقم ٧٩٦٩ ، وانظر صحيح الجامع للألباني م١ رقم ٨١ .

صفوة الصلاة ، وفاته أيضاً حسن الصلاة وخشوعها ، والأحسن من هذا كله أن يبادر الرجل الصلاة في المساجد المفضلة ، ويأتيها مبكراً عليه السكينة والوقار موقراً لصلاته مدركاً للفضلين معاً ، فضل الصلاة فيها ، وفضل تكبيرة الإحرام .

وقد قال بعضهم :

من لي بمثل مشيك المعتدل تمشي الهوينا وتَجِي في الأولِ[1].

وهذا هو حال الرجل الصالح السابق للصلاة ، يأتي المسجد مبكراً ، يمشي الهوينا عليه السكينة والوقار ، ليكون في الصف الأول ، مدركاً للتكبيرة الأولى ، والله أعلم .

---

١ – سمعت هذا البيت بهذا اللفظ من فضيلة الشيخ الأديب الخطيب المصقع علي بن عبد الخالق القرني نفع الله بعلمه ، وقد ذكره ابن رجب الحنبلي رحمه الله في لطائف المعارف ص٤٤٩ عن بعضهم بقوله :

من لي بمثل سيرك المدلَّلِ تمشي رويداً وتَجِي في الأولِ .

المبحث الثاني :

فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها في السنة النبوية المطهرة .

وفيه مطلب واحد :

بيان فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها من خلال شرح حديث الباب .

بيان فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها من خلال شرح حديث الباب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى لله أربعين يوماً في جماعة ، يدرك التكبيرة الأولى ، كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق)[1] .

---

١ - الحديث روي عن أنس بن مالك وعمر بن الخطاب وأبي الكاهل قيس بن عائذ الأحمسي رضي الله عنهم بعدة طرق يقوي بعضها بعضاً ، منها : أربعة طرق عن أنس رضي الله عنه لا تنزل عن درجة الحسن ، روي منها مرفوعاً وموقوفاً ، وما جاء منها موقوفاً ، فمثله لا يقال من قبل الرأي ، فهو في حكم المرفوع ، وبقية الطرق عن عمر بن الخطاب وأبو كاهل الأحمسي رضي الله عنهما إن لم تزد الحديث قوة فلن تؤثر فيه ضعفاً ، فالحديث بمجموع طرقه حسن لغيره ، رواه الترمذي ج٢/٧ رقم ٢٤١ ، والبيهقي في شعب الإيمان ج٣/٦١ رقم ٢٨٧٢ ، والقضاعي في مسند الشهاب ج ١/٢٨٥ رقم ٤٦٦ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ج١/١٦٠ رقم ٥٩٣ ، والطبراني في الكبير ج١٣/٣١١ رقم ١٥٣١٦، وانظر التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني ج٢/٢٧ رقم ٥٥٨ ، وصحيح الجامع للألباني م٢ برقم ٦٣٦٥ ، والسلسلة الصحيحة م٦/١٥١ برقم ٢٦٥٢ . قال الألباني رحمه الله : والخلاصة : فالحديث بمجموع طرقه الأربعة عن أنس رضي الله عنه حسن على أقل الأحوال ، وبقية الطرق إن لم تزده قوة . فلن تؤثر فيه ضعفاً .
وأما الرواية المشهورة عند العامة التي خالف متنها ولفظها كل من روى عن أنس رضي الله عنه وهي : (من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار ونجاة من العذاب وبرئ من النفاق) فهي بهذا اللفظ ضعيفة لأمرين : أحدهما : جهالة نبيط بن عمر . وثانيهما : تفرد نبيط بن عمر بهذا اللفظ ومخالفته لكل من رواه عن أنس رضي الله عنه ، وقد رواها أحمد في المسند ج٢/١٥٥ رقم ١٢٦٠٥ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف لجهالة نبيط بن عمر . والطبراني في الأوسط ج٥/٣٢٥ رقم ٥٤٤٤ . وقال : لم يرو هذا الحديث عن أنس إلا نبيط بن عمر ، تفرد به عبد الرحمن بن أبي الرجال . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣/٦٧٧ رقم ٥٨٧٨ : رجاله ثقات . وقال الألباني : وهذا سند ضعيف ، نبيط هذا لا يعرف في هذا الحديث وقد ذكره ابن حبان في الثقات ج٥/٤٨٣ . على قاعدته في توثيق المجهولين وهو عمدة الهيثمي =

أبشروا يا كرام يا من أدركتم تكبيرة الإحرام

شرح حديث الباب :

قوله صلى الله عليه وسلم : (من صلى لله) .

= في قوله في (المجمع ج٤/ ٨) : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . وأما قول المنذري في (الترغيب ج٢/١٣٦) : رواه أحمد ورواته رواة الصحيح والطبراني في الأوسط . فوهم واضح ؛ لأن نبيطاً هذا ليس من رواة الصحيح ، بل ولا روى له أحد من بقية الستة ! ومما يضعف هذا الحديث أنه ورد من طريقين يقوي أحدهما الآخر عن أنس مرفوعا وموقوفا بلفظ : (من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان ، براءة من النار ، وبراءة من النفاق) انظر السلسلة الضعيفة للألباني ج١/٤٤١ رقم ٣٦٤.

قلت : ويلاحظ فروقاً بين متن الرواية المرفوعة ومتن الرواية المشهورة :

الأول : أن الرواية المرفوعة تفيد الفضيلة لكل من واظب على إدراك تكبيرة الإحرام ، بينما الرواية المشهورة جعلت تلك الفضيلة لمن واظب على الصلاة دون أن تفوته صلاة ، ولا يخفى أن المصلي قد يدرك الركعة الأولى أو يدرك الصلاة كلها وتفوته تكبيرة الإحرام وهذا عند جمهور الفقهاء كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

الثاني : أن الرواية المرفوعة تفيد الفضيلة لكل من واظب على إدراك تكبيرة الإحرام في أي مسجد ، بينما الرواية المشهورة جعلت تلك الفضيلة خاصةً بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا شك أن المواظبة على ذلك في المسجد النبوي أولى لما فيه من مضاعفة ثواب الصلاة ، بينما نجد أن الرواية المرفوعة فيها توسعة على المسلمين في كل مسجد لمن لا يستطيع القدوم والصلاة في المسجد النبوي .

الثالث : أن الثواب الموعود به المصلي في الرواية المرفوعة قد علق على أربعين يوماً ـ وصلاة أربعين يوماً مائتا صلاة ـ بينما الرواية المشهورة فقد علقت الثواب الموعود به المصلي على أربعين صلاة ـ أي ثمانية أيام ـ وفي هذا توسعة للزائرين ممن استطاع القدوم والصلاة في المسجد النبوي ، إلا أنه يعكر عليها ضعف سندها ومخالفة متنها لكل من روى عن أنس رضي الله عنه .

الرابع : أن الرواية المرفوعة لم تصرح بأن تكون الصلوات متوالية ، لكن هناك روايات أخرى دلت على المواظبة والمحافظة والموالاة ، بينما الرواية المشهورة فقد صرحت بأنه يشترط لحصول الثواب الموعود به المصلي أن تكون الصلوات متوالية لا تفوته صلاة ، والله أعلم .

أي صلى صلاة خالصةً لله ، وهو قيد يدل على وجوب الإخلاص لله تعالى من بداية الصلاة إلى نهايتها ، ويخرج بهذا القيد كل من يصلي رياءً وسمعة وشهرة ووجاهة عند الناس ... .

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن التفات الرجل في صلاته فقال : (هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)[1] . فإذا كان هذا التفات طرفه أو لحظه فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله ؟ من سمعة وشهرة ووجاهة عند الناس !!! .

وما أخيب ذلك الرجل الذي سعى لإدراك تكبيرة الإحرام واجتهد في المواظبة عليها لسنوات طويلة ، ولمّا تأخر عنها ذات مرة ، قال لابنه : ماذا سيقول عني الناس ؟!!.

وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[2]. وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[3].

فالإخلاص ألا تلحظ مع الله أحداً ، وضده الرياء ، والمؤمن دائماً يتفقد نيته[4] ، ويحررها لله رب العالمين ، ويعالجها ويصفيها من كل شائبة ، فقلَّ عملٌ من الأعمال إلا وللنفس فيه حظ وللشيطان فيه نصيب ، وإن كان العمل صغيراً .

---

١ ـ رواه البخاري ج١/٢٦١ رقم ٧١٨ باب الالتفات في الصلاة .

٢ ـ رواه مسلم ج٨/٢٢٣ رقم ٧٦٦٦ باب من أشرك في عمله غير الله .

٣ ـ الكهف الآية ١١٠ .

٤ ـ النية في كلام العلماء تقعُ بمعنيين : أحدهما : بمعنى تمييز العباداتِ بعضها عن بعضٍ ، كتمييزِ صلاة الظُّهر مِنْ صلاةِ العصر مثلاً ، وتمييزِ صيام رمضان من صيام غيرِه ، أو تمييز

ودأب الشيطان ـ نعوذ بالله منه ـ أن يشوب نية المكلف بملاحظة المخلوقين أو ينسيه نيته حتى يعمل بلا نية ، وتصبح عبادته عادة ، فالمخلص يجرد نفسه وقصده من كل إرادة سوى الله ويقبل على مولاه ، فلا يلتفت إلى حظ عاجل من حظوظ نفسه ولا يريد من الناس أن يُقربوه ، أو يُكرموه ، أو يُعظموه ، أو يسمعوا عن عمله الصالح ليثنوا عليه خيراً ، فلا حظ لنفسه فيه .

العباداتِ مِنَ العادات كتمييز الغُسلِ من الجَنَابةِ مِنْ غسل التَّبرُّد والتَّنظُّف ونحو ذلك وهذه النيةُ هي التي تُوجَدُ كثيراً في كلامِ الفُقهاء في كتبهم .

والمعنى الثاني : بمعنى تمييزِ المقصودِ بالعمل ، وهل هو لله وحده لا شريكَ له ، أم غيره ، أم الله وغيرُه ، فهي حينئذ بمعنى الإرادة ، ويُعبَّرُ عنها بلفظِ الإرادة في القرآن الكريم كثيراً ، منها قوله تعالى : (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ) آل عمران الآية ١٥٢. وقوله تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الكهف الآية ٢٨ . وقد يُعَبَّرُ عنها في القرآن الكريم بلفظ الابتغاء ، منها قوله تعالى : (إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى) الليل الآية ٢٠. وقوله تعالى : (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) النساء الآية ١١٤. وهو المعنى المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات) وهذه النيّة هي التي يتكلَّمُ فيها العارفُونَ في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه وهي التي تُوجَدُ كثيراً في كلام السَّلَفِ المتقدّمين .ا.هـ ملخصاً من جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ج٣/١١.

يقول يوسف بن أسباط رحمه الله : تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد[1] . فما نفع اجتهاد المجتهد في المواظبة على تكبيرة الإحرام لسنوات طويلة مع فساد نيته ؟ وما أخيب من عمل لغير الله .

وقد سُئِل سهل بن عبد الله التستري : أي شيء أشد على النفس؟ قال : الإخلاص ؛ قيل : ولِمَ ذلك ؟ فقال : لأنه ليس للنفس فيه نصيب[2] . فمع الإخلاص ينسى العبد حظوظ نفسه ، ومن هنا كان الإخلاص صعيباً ، يضاف إلى ذلك أن الخواطر التي ترد على القلب لا تتوقف ، وما سمي القلب قلباً إلا لكثرة تقلبه ، فهو كثير التقلب على صاحبه ، ويصعب على العبد أن يضبطه في كل لحظة من لحظاته ، وأن يلاحقه في كل حركة من حركاته، ولهذا يقول سفيان الثوري رحمه الله : ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيتي إنها تتقلب عليّ[3] .

فقوله صلى الله عليه وسلم : (من صلى لله) معناه أن يستحي العبد من الله الحيي الكريم ، إذ هداه ووفقه وأعانه للمجيء مبكراً إلى بيت من بيوته ليدرك تكبيرة الإحرام ، وأقامه بين يديه ، ثم بعد ذلك يرجو غيره ، ويلتمس رضوان أحد سواه ، فاجعل أخي المؤمن صلاتك خالصة لله وحده ، ليس فيها لأحد سواه حظ ولا نصيب ،

---

١ - انظر المجالسة وجواهر العلم للدينوري ج١/٤١٣ رقم ١٩٤٦، والإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ج١/٧٣.

٢ - صفة الصفوة لابن الجوزي ج١/٤١٦.

٣ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ج٢/٢٨٧ رقم ٦٩٧.

فالإخلاص أن يكون مراد العبد في صلاته ـ بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ـ مبتغياً وجه ربه الأعلى .

وقد تنوعت عبارات السلف في الحديث عن الإخلاص ، أذكر بعضاً منها :

قال أبو محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله : نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركاته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالى وحده ، لا يمازجه شيء لا نفسٌ ولا هوى ولا دنيا[1] .

وعن أبي علي الفضيل بن عياض رحمه الله قال : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما [2].

وعن أبي عثمان سعيد بن إسماعيل رحمه الله قال : الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق[3] .

وعن حبيب بن أبي ثابت التابعي رحمه الله أنه قيل له : حدثنا . فقال : حتى تجيء النية[4] . أي حتى يتم تحريرها وجمعها وتنقيتها خالصة لله رب العالمين .

---

١ - شعب الإيمان للبيهقي ج٥/٣٤٧ رقم ٦٨٧٨.

٢ - انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٨/٣٨٢.

٣ – انظر شعب الإيمان للبيهقي ج٥/٣٤٨ رقم ٦٨٨٥ .

٤ – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ج٢/٢٨٧ رقم ٦٩٦.

وقيل لنافع بن جُبير رحمه الله : ألا تشهدُ الجنازةَ ؟ قال : كما أنتَ حتَّى أنوي، قال: ففكَّر هُنَيَّة ، ثم قال : امضِ [1] . أي بعد أن حرر النية خالصة لله وحده لا شريك له .

وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال لأبي داود : شرط النية شديد ، لكنه حبب إليّ فجمعته [2] . أي جمع إخلاص النية لله وحده وتخليصها مما سواه .

وعن مضاء بن عيسى رحمه الله قال : إنما تفاضلوا بالإرادات ، ولم يتفاضلوا بالصوم والصلاة [3] . أي باختلاف وتفاوت النيات .

قلت : كم من رجلين في صلاة واحدة ، متجاورين في صف واحد ، يكون بينهما كما بين السماء والأرض ؛ وذلك لاختلاف النية ، وتفاوت إخلاص أحدهما عن الآخر يقول نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى) [4] .

---

١ - تاريخ دمشق لابن عساكر ج٦١/٤٠٧.

٢ - انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ج ١٩٣/٢.

٣ - تاريخ دمشق لابن عساكر ج٥٨/٢٨٥.

٤ - رواه البخاري ج٣/١ رقم ١ ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومسلم ج٤٨/٦ رقم ٥٠٣٦ باب قوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنية .

ويحدثنا ذو النون رحمه الله عن علامات الإخلاص بقوله : ثلاثة من علامات الإخلاص : استواء المدح والذم من العامة ، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ، واقتضاء ثواب العمل في الآخرة[1] .

والآثار في هذا الباب كثيرة ، وقد ذكرها أئمتنا في مصنفاتهم ، فمن أراد الزيادة فليراجعها في مظانها[2].

مسألة : كيف تكون صلاتنا خالصة لله تعالى ؟.

تكون صلاة العبد خالصة لله تعالى إذا حقق هذه الأمور الأربعة :

أولاً : أن يعلم العبد أن في القلب شعث لا يلمه غير الإقبال على الله تعالى ، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص لله وعبادته وحده ، وفيه فاقة لا يسدها شيء سوى محبة الله والإنابة إليه ، ودوام ذكره ، وصدق الإخلاص له ، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبداً [3] .

فلا راحة للقلب ولا طمأنينة له ولا حياة له إلا بالإخلاص لله وحده لا شريك له ، وهذا العلم يورث العبد الشعور بتجديد وتحرير النية لله تعالى في كل وقت ، ولا سيما

---

١ – حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٤/٢٢٧.

٢ – ذكر هذه الآثار وزاد عليها الإمام النووي في المجموع ، فصل في الإخلاص والصدق وإحضار النية في جميع الأعمال البارزة والخفية ج١/١٦،١٧. ومثله الإمام ابن القيم في كتابه القيم مدارج السالكين ج٢/٩١،٩٢. ومثله الإمام ابن رجب الحنبلي في كتابه جامع العلوم والحكم ج٣/١٩عند شرحه لحديث : (إنما الأعمال بالنيات) وغيرهم .

٣ – انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ج١/٧١.

عند كل صلاة ، وإن العبد إذا لم يقبل بقلبه على الله بعبودية خالصة في صلاته ، أقبلت عليه خواطر نفسه وواردات شيطانية استعبدت قلبه وجعلته بمنأى عن الإخلاص حتى تنقضي الصلاة ، فليختار العبد العاقل لقلبه ما يريد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ومن لم يكن مخلصاً لله عبداً له قد صار قلبه مستعبداً لربه وحده لا شريك له بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه ويكون ذليلا له خاضعا ، وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين...) [1].

ثانياً : أن يعلم العبد أنه لابد أن ينشر له ديوانان لكل عمل عمله : ديوان لمن فعلته ؟ وكيف فعلته ؟ فالأول : سؤال عن الإخلاص . والثاني : سؤال عن المتابعة . قال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾ [3] فإذا سئل الصادقون وحوسبوا على صدقهم فما الظن بالمرائين والمنافقين ؟ فالعبد المؤمن يحاسب نفسه عند قيامه بكل عمل ، ومن ذلك الصلاة ، فالمؤمن يحاسب نفسه بالإخلاص ، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، هل سيصلي لله وحده ؟ أم أنه يريد غيره ؟ كالشهرة والوجاهة عند الناس وثناءهم عليه [4] ، فإذا كانت لله تعالى صلى وحمد الله وسأله الثبات والقبول ، وإذا

---

١ – مجموع الفتاوى لابن تيمية ج١٠/٢١٦.

٢ – الحجر الآية ٩٢ ،٩٣.

٣ – الأحزاب الآية ٨.

٤ – قلت : وهذا يكثر غالباً عند من يؤم المصلين لا سيما القراء إلا من رحم الله .

كانت لغيره استغفر الله صادقاً وتاب وأناب وشكى نفسه لمولاه بأن يؤتيها تقواها ويزكيها فهو خير من زكاها ، ثم حرر نيته من جديد لله وحده لا شريك له فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وأريد به وجهه .

وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال : المؤمن يحاسب نفسه ويعلم أن له موقفاً بين يدي الله تعالى ، والمنافق يغفل عن نفسه ، فرحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول ملك الموت به [1] .

وعن الحسن البصري رحمه الله قال : إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة [2] .

ثالثاً : أن تعلم أن الله يراك ، ومطلع على قلبك ، فتراقب الله الرقيب في خواطر قلبك ، فإن هذه المراقبة تدفعك إلى تصحيح النية وتحريرها ، وهذا مقام رفيع هو مقام الإحسان وفي حديث جبريل عليه الصلاة والسلام : (الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [3] .

---

١ – انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٨/٤٢٤.

٢ – انظر حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ج٢/١٥٧ ، ومحاسبة النفس لابن أبي الدنيا ج١/١٨ .

٣ – رواه البخاري ج١/٢٧ رقم ٥٠ باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم . ومسلم ج١/٢٨ رقم ١٠٢ باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر .

رابعاً : الاستعانة بالله وحده ، وشكوانا إليه سوء أنفسنا وحظوظها ، فالله وحده المستعان وعليه وحده التكلان ، فالمؤمن دائماً في جهاد لنفسه حتى تستقيم له ، يقول محمد بن المنكدر رحمه الله : كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت [1] .

فكلما لاحظت أحداً في صلاتك ، جأرت إلى مولاك تبثه شكواك : يا رب يا الله إن نفسي مأوى كل سوء لم تزكى ، تريد أن تشرك بك وترائي خلقك ، وإني أحب أن أعبدك وحدك لا شريك لك ، فيا رب يا الله آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها وأنت مولاها ، وأعذها يا رب أن تشرك بك شيئاً وهي تعلم واغفر لها ما لا تعلم .

وقد قال نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لأبي بكر الصديق : (يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل. فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهاً آخر . قال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل ، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره ؟ قال : قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم) [2].

---

١ - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٣/١٤٧.

٢ - رواه الإمام أحمد في المسند ج ٤/٤٠٣ رقم ١٩٦٢٢ من رواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، والبخاري في الأدب المفرد من رواية معقل بن يسار رضي الله عنه ج١/٢٥٠ رقم ٧١٦ ، وصححه الألباني .

وكان عمر رضي الله عنه يقول في دعائه : (اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً)[1].

وعن سفيان بن عيينة رحمه الله يقول : كان دعاء مطرف بن عبد الله : (اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أوف به ، وأستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي فيه ما قد علمت)[2].

اللهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ، اللهمَّ اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً ، اللهمَّ إنِّي أستغفركَ ممَّا زعمتُ أنِّي أردتُ به وجهَك فخالطَ قلبي منه ما قد علمتَ ، اللهمَّ صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

وأحسب أني قد أطلت في شرح قوله صلى الله عليه وسلم : (صلى لله) لأن الإخلاص أساس الأعمال كلها، ولا يُقبل منها إلا ما كان خالصاً لله وابتغي به وجهه ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم ، ويرون الإخلاص أعز شيء في الدنيا ، وأشقه على النفس ، فكثير من المصلين يجتهد بإلزام نفسه وإحضار جسده إلى المسجد لأجل المواظبة على إدراك تكبيرة الإحرام أربعين

---

١ – رواه الإمام أحمد في الزهد ج١/١١٨.

٢ – انظر حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٢/٢٠٧.

يوماً بل وربما أربعين سنة ، لكنه يقصر في تحقيق شرط الإخلاص (صلى لله) فتكون عبادته مشوبة برياء أو شهرة ووجاهة بين الناس ... وذلك لدقة وخفاء الرياء مع كثرة تقلب القلب ، ولذلك قال يوسفُ بنُ الحسينِ الرازيُّ : أعزّ شيءٍ في الدُّنيا الإخلاصُ ، وكم اجتهد في إسقاطِ الرِّياءِ عَنْ قلبي، وكأنَّه ينبُتُ فيه على لون آخر[1].

فكم يجاهد العبد نفسه لإخراج الرياء من قلبه إذا صلى في جماعة مدركاً ومواظباً على تكبيرة الإحرام ، لكن سرعان ما يدخل عليه من جهة أخرى ، فإذا أثنى عليه الناس ، فهو ينكر نفسه ويتهمها ويحقرها ، ويسد عليها هذا الباب ، ثم يفتح له باب آخر ، وهو إبراز جانب تواضعه ، فيقع في رياء آخر ... وهذا هو الرياء الجلي ، وربما يدخل الرياء لقلب العبد وهو مجتهد في الصلاة بعيداً عن أعين الناس ، فيعجب بصلاته ، ويدلي بها على الله[2] ، ويظن أنه صار وجيهاً عند الله ، وأنه من الأولياء

---

١ – انظر مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج٨/٢٧١.

٢ ¯ الإدلال كالرجل يهدي غيره شيئاً فيستعظم هديته ويكون معجباً بها ، فإن استخدم المُهدِي المُهدَى له في أمر أو اقترح عليه أمراً أو توقع منه جزاءً واستبعد أن يتخلف عن قضاء حاجته كان مدلاً عليه . فالإدلال متولد عن العجب ، فلا مدل إلا وهو معجب ، ورب معجب لا يدل ، أي لا يتوقع الجزاء على عمله ، قال قتادة في قوله تعالى : (ولا تمنن تستكثر) أي لا تدل بعملك . فالمدل هو الذي يعجب بعمله ، ويتوقع عليه الجزاء الجزيل ، وإذا صلى العبد أو صام وعمل طاعة وقربة ظن أن له عند الله وجاهة ومنزلة ، وللإدلال معان أخرى في لسان العرب كما قال ابن منظور ج١١/٢٤٧ : قال : هي تَدِلُّ عليه أَي تجترئ عليه ، ويقال : ما دَلَّك عَلَيَّ أَي ما جَرَّأَك عليَّ . ودَلَّ عليّ قومي أَي جَرَّأَهم ، والمُدَلِّل الذي يَتَجَنَّى في غير موضع تَجَنٍّ ، ودَلَّ فلان إِذا هَدى ودَلَّ إِذا افتخر ، والدَّلّة المِنّة ، والأَدَلُّ المَنَّان بعَمَله .

المقربين ، ويحسب أنه مستجاب الدعوة ، وإذا لم تستجب دعوته استنكر هذا بباطنه وأن على الناس توقيره والمسارعة في قضاء حوائجه ، ولا يعذر من قصر في حقه وربما توعده بعاجل العقوبة من الله تعالى ، فمن شاهد من نفسه شيئاً من هذا فليعلم أنه مراء بصلاته ، وإن أخفاها على سائر الخلق ، وهذا هو الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل ، ولا يسلم منه إلا أهل الإحسان الذين لم يلحظوا الخلق بدوام مراقبتهم للخالق ، فلا يرجون من الخلق منفعة ولا يخشون منهم مضرة . فأعمال هؤلاء القوم خالصة وإن كانت بين أظهر الناس، جعلنا الله منهم بمحض فضله وجوده وكرمه وعظيم منته علينا إنه حيي كريم ، وفي هذا القدر كفاية وهداية إن شاء الله .

مسألة : من بدأ صلاته لله تعالى ثم حسنها للناس .

قد يبدأ العبد صلاته لله وحده ، ثم يصلي بجواره أحد الناس ، فتراه يحسن صلاته فيطيل القراءة والركوع والسجود بخلاف عادته ، وقد أثر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا رأى من غلامه طاعة وحسن صلاة أعتقه ، فكان غلمانه إذا رأوا ابن عمر رضي الله عنهما يفعلون ذلك طلباً للعتق. فقيل له : إنهم يخدعونك ، فقال : من خدعنا بالله انخدعنا له[1] .

---

١ - انظر الطبقات الكبرى للزهري ج١٦٧/٤ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٢٩٤/١ .

اللهم اعتق رقابنا ورقاب أبائنا وأمهاتنا وإخواننا وأخواتنا من النار ، واكتب لنا جميعاً براءة من النار ، وبراءة من النفاق ، واجعلنا ممن يحسن صلاته ابتغاء وجهك الكريم .

والمسألة : هل يثاب المصلي إذا صلى لله تعالى ، ثم انتابه شيء من الرياء وملاحظة المخلوقين أثناء صلاته ؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ولا يثاب على عمل مشوب إجماعاً ، ومن صلى لله ، ثم حسنها وأكملها للناس أثيب على ما أخلصه لله لا على ما عمله للناس (ولا يظلم ربك أحداً) [1] .

قوله صلى الله عليه وسلم : (أربعين يوماً) أي وليلة كما جاء في بعض الروايات.

قوله صلى الله عليه وسلم : (أربعين يوماً في جماعة) دل على أن المراد بالصلاة في جماعة هي صلاة الفريضة ؛ ليخرج بذلك صلاة النافلة في جماعة كالتراويح في شهر رمضان، وقد جاءت رواية أنس بن مالك رضي الله عنه الموقوفة صريحة بذلك : (من واظب على الصلوات المكتوبة) [2] ، وصلاة الفريضة جماعة واجبة على المقيم والمسافر معاً في المسجد أو في غيره ، فالمقيم يصلي جماعة في المسجد ، والمسافر إذا لم يجد مسجداً تقام فيه جماعة المسلمين ، فإنه يصلي

---

١ - انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج٨/٣٥ .

٢ – رواه البيهقي بسنده في شعب الإيمان ج٣/٦٢ برقم ٢٨٧٤ وقال : كذا روي بهذا الإسناد موقوفاً .

الفريضة جماعة في رحله مع جماعة المسافرين الذين سافر معهم ، ولا تسقط صلاة الجماعة عن المسافر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾[1] فقوله تعالى : (فلتقم طائفة منهم معك) هذا في صلاة المسافر مع الخوف ، وإذا أوجب الله تعالى على المقاتلين صلاة الجماعة في السفر مع الخوف ، فالمسافرون الذين لا يقاتلون وهم آمنون من باب أولى ، فالمؤمن يحافظ على صلاة الجماعة ويواظب على تكبيرة الإحرام في الحضر والسفر سواء بسواء .

وإدراك تكبيرة الإحرام في جماعة أربعين يوماً ليس مخصوصاً بالمسجد النبوي الشريف ، كما يفعله بعض المسلمين ، وإنما الحديث عام يشمل المسجد النبوي وغيره من المساجد ، وهذا من رحمة الله بالمسلمين ، والعام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه ، وإذا استطاع المسلم أن يدرك تكبيرة الإحرام في جماعة أربعين يوماً في المسجد النبوي ، فلا شك أن هذا أفضل ، لجمعه بين الفضيلتين ، فضيلة الصلاة في المسجد النبوي ، وفضيلة إدراكه تكبيرة الإحرام في جماعة أربعين يوماً ، وإذا لم يستطع فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وتصح في أي مسجد ، وفي ذلك توسعة على المسلمين والله أعلم .

---

١ – النساء الآية ١٠٢.

مسألة : هل يشترط توالي الأربعين يوماً وتوالي الصلوات التي يدرك فيها تكبيرة الإحرام ؟.

ليس المراد بلفظ : (أربعين) أربعين يوماً متفرقة وممتدة على عمر الإنسان - كما فهم بعضهم - وعندما طولب بالدليل على هذا الفهم !! قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر أربعين يوماً متتابعة ، وحيث لا يوجد لفظة متتابعة في نص الحديث إذن : فالمراد بالأربعين أي أربعين يوماً متفرقة ممتدة على عمر الإنسان !!.

وكان جديراً به قبل أن يقرر مثل هذا الفهم أن يسأل عن أدلة تتابع الأربعين يوماً وتوالي الصلوات التي يدرك فيها تكبيرة الإحرام ويقف عند الأدلة ولا يتعداها إلى فهمه السقيم .

والذي يظهر من روايات الحديث أنه لا بد من توالي الأربعين يوماً وتوالي الصلوات التي يدرك فيها تكبيرة الإحرام ، ويدل على ذلك ما جاء في بعض الروايات منها :

١ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلى في مسجدي أربعين صلاة **لا تفوته صلاة** ، كتب الله له براءة من النار ، ونجاة من العذاب ، وبرئ من النفاق) [1] . ووجه الاستدلال قوله : (لا تفوته صلاة)

---

١ – سبق الكلام على هذه الرواية ص ٤٧ .

تدل على توالي الصلوات تباعاً صلاة إثر صلاة دون فوات ، ولو حصل انقطاع في صلاة أو في يوم أو أكثر فقد فاتته الصلاة ولم يحصل التتابع .

٢ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (**من واظب** على الصلوات المكتوبة أربعين ليلة **لا تفوته ركعة** كتب الله له بها براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق)[١] ووجه الاستدلال أن المواظبة تقتضي توالي الأيام والليالي والصلوات دون انقطاع ، ولو حصل انقطاع فلا يسمى مواظباً .

٣ ـ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل شيء أنفة ، وإن أنفة الصلاة التكبيرة الأولى **فحافظوا عليها**)[٢]. ووجه الاستدلال أن المحافظة على التكبيرة الأولى تقتضي التتابع والمداومة عليها يوماً بعد يوم وصلاة بعد صلاة دون انقطاع .

٤ ـ فهم السلف الصالح : ما فهمه السلف الصالح رضي الله عنهم والتزموا فعله طيلة حياتهم ، هو المداومة والمواظبة والموالاة والتتابع في الأيام والصلوات دون

---

١ – رواه البيهقي بسنده في شعب الإيمان ج٣/٦٢ برقم ٢٨٧٤ وقال : كذا روي بهذا الإسناد موقوفاً .

٢ – انظر شعب الإيمان للبيهقي ج٣/٧٣ برقم ٢٩٠٧ ، ومصنف ابن أبي شيبة ج١/١٢٧ رقم ٣١٢٠ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج٥/١٧٧، ومسند الشاميين للطبراني ج٦/ ٢٦٥ رقم ٢٠٧٣ ، وقال الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الكبير بنحوه موقوفاً، وفيه : رجل لم يسم . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٢/١٢٣. وقال ابن حجر : في إسناده مجهول . انظر التلخيص الحبير ج٢/٢٨. والسلسلة الضعيفة للألباني ج٦/١٢٢ رقم ٢٦٢١ وضعيف الجامع للألباني رقم ١٩٢٨.

انقطاع ، وقد دلت أقوالهم وأفعالهم على ذلك كما ستراه ـ إن شاء الله ـ في الآثار الواردة عنهم ، وإليك بعضاً منها :

١ ـ قال سعيد بن المسيب رحمه الله : ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت في قفا رجل منذ خمسين سنة[١] .

وقال البرد مولى سعيد بن المسيب : ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد[٢] .

٢ ـ وقال وكيع عن الأعمش رحمه الله : اختلفت إليه قريباً من سنتين ما رأيته يقضي ركعة ، وكان قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى[٣] .

٣ ـ وعن أحمد بن عمران قال : سمعت محمد بن سماعة التيمي ، يقول : مكثت أربعين سنة لم تفتني تكبيرة الإحرام إلا يوم ماتت أمي ، فصليت خمساً وعشرين صلاة أريد التضعيف[٤] .

---

١ – حلية الأولياء لأبي نعيم ج٢/١٦٣.

٢ – حلية الأولياء لأبي نعيم ج٢/١٦٣، والبداية والنهاية لابن كثير ج٩/١٠٠.

٣ – حلية الأولياء لأبي نعيم ج٥/٤٩، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٤/١٩٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٦/٢٨٨، وتذكرة الحفاظ للقيسراني ج١/١٥٤، ومسند ابن الجعد ج١/١٢٢ رقم ٧٥٥.

٤ – سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٠/٦٤٦ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٩/١٨١.

٤ ـ وقال ربيعة بن يزيد : ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً [١] .

٥ ـ وقال إبراهيم التيمي رحمه الله : إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه [٢] .

٦ ـ وقال وكيع بن الجراح رحمه الله : من لم يدرك التكبيرة الأولى فلا ترجو خيره[٣].

ومثله أيضاً قوله رحمه الله : إذا رأيت الرجل لا يقيم تكبيرة الإحرام ، فأي شيء ترجو منه [٤] ؟.

فالمراد من حديث أنس رضي الله عنه الملازمة والمواظبة على تكبيرة الإحرام والحرص عليها ، وعدم التهاون بها ، والاستمرار فيها ، وبيان الأجر العظيم الذي يناله الرجل الذي يدرك تكبيرة الإحرام ويلزمها أربعين يوماً ـ أي مئتي فرض ـ حتى تصير عادته وديدنه ، وينعم بالعبادة ، وتحصل له الاستقامة .

---

١ – شعب الإيمان للبيهقي ج٣/٧٩ رقم ٢٩٣٠ ، والثقات لابن حبان ج٤/٢٣٢.

٢ – حلية الأولياء ج٤/٢١٥ ، وصفة الصفوة ج٣/٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ج٥/٦٢ .

٣ – شعب الإيمان للبيهقي ج٣/٧٤ رقم٢٩١١، والترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ج١/١٢٦رقم ١١٠.

٤ – التمهيد لابن عبد البر ج٩/١٨٦.

وإذا علمت هذا أدركت أيضاً بطلان قول القائل : سأجتهد حتى أدرك تكبيرة الإحرام أربعين يوماً ، ثم بعد ذلك لا حرج عليّ إن تأخرت عن تكبيرة الإحرام ، أو إن تأخرت عن الصلاة قليلاً ، أو أخرتها عن وقتها !!!.

وجوابه : قائل هذا القول مدلٌ بصلاته على الله تعالى ، معجب بالأربعين يوماً التي أدرك فيها تكبيرة الإحرام ، وظن نفسه أنه صار وجيهاً عند الله ، قد كتبت له البراءة من النفاق ، والبراءة من النار ، حتى رفع الحرج عن نفسه في تأخيره عن تكبيرة الإحرام ثم زين له الشيطان ـ نعوذ بالله منه ـ بأنه لا حرج عليه في تأخيره للصلاة عن وقتها .. وهكذا يمكر الشيطان به ، ويمكر هو بنفسه ، نسأل الله السلامة والعفو والعافية ، يا رب يا الله لا تجعل للشيطان علينا سبيلاً ، ولا تجعلنا من الماكرين ، ولا تجعلنا ممن يأمن مكرك لحظة ولا أقل من ذلك .

ومن قال لهذا القائل : أنه استحق بالأربعين يوماً التي أدرك فيها تكبيرة الإحرام البراءة من النار ، أو البراءة من النفاق ؟.

فالعبد مهما اجتهد في العبادة والطاعة واجتهد يبقى عبداً لله وحده ، ولا يخرج عن طوره ، هذا شغله الذي خلق له ، ولا يخرج عن عبوديته لله رب العالمين ، ولا يستحق بعمله مهما بلغ في العبادة والطاعة شيئاً [1] ، وإنما أطاع يوم أطاع

---

١ – يقول أحدنا إذا سأل عن حاله : كيف حالك ؟ فيجيب بقوله بالعامية : الله عما يعطينا أكثر مما نستحق !! وهذا القول فيه نظر ؛ لأنه أثبت لنفسه أنه يستحق شيئاً ، والله يعطيه أكثر من هذا الشيء الذي يستحقه ، والصحيح : أننا لا نستحق شيئاً ، وربنا الكريم الجواد ذو الفضل العظيم =

بمحض فضل الله وجوده وكرمه وعظيم منته عليه ، فإذا أراد ربنا الجواد الكريم ذو الفضل العظيم أن يكتب له البراءة من النار ، فهذا زيادة في فضل الله عليه وجوده وكرمه وعظيم منته عليه .

فليس المراد بذكر (الأربعين) الاقتصار عليها ، ثم الانقطاع بعد ذلك ، وانما المراد بها الملازمة والمواظبة على تكبيرة الإحرام إذا استمرت مدة أربعين يوماً ، فالمرجو في الغالب أن يثبت هذا المصلي ويستقيم على المداومة عليها طيلة حياته ، وأن يرتقي حاله إلى حال أفضل وأكمل ، والله تعالى أعلم .

وقد ذكر شارح مسند أبي حنيفة رحمهما الله تعالى الحكمة في عدد الأربعين بقوله: ولعل الحكمة في عدد الأربعين أن الملازمة للطاعة في الدين إذا استمرت في هذه المدة المبينة ، فالغالب أن يتلذذ بالعبادة ، ويذهب عنه كلفة المجتهدين ، فتحصل له الاستقامة ، والله الموفق والمعين[1] .

وقال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله في تكملة أضواء البيان : وليعلم أن الغرض من هذه الأربعين هو كما أسلفنا التعود والحرص على الجماعة . أما لو رجع

= يعطينا من غير استحقاق ، وكل عطاء إنما هو محض فضل الله وجوده وكرمه علينا ، بل إن صلاة كثير منا لا نستحق عليها إلا العقوبة ، فإذا عافانا ربنا العفو من العقوبة على سوء صلاتنا ونجانا من النار فذلك زيادة في فضله وجوده وكرمه وعظيم منته علينا.

١ - انظر شرح مسند أبي حنيفة للملا علي القاري ج١/١٨٠.

فترك الجماعة ، وتهاون في شأن الصلاة ، عياذاً بالله ، فإنها تكون غاية النكسة . نسأل الله العافية[1] .

قلت : وهذا كقول نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (من توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة ، فاستمع وأنصت ، غفر له ما بينه وبين الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام ، وإن مس الحصا فقد لغا)[2] .

فلا يفهم منه أحد أن من أحسن الوضوء ، واقتصر على صلاة الجمعة من كل أسبوع ، واستمع وأنصت ، حصلت له مغفرة الذنوب ، بل إن التهاون في شأن الصلاة وترك الجماعة ، يعتبر غاية النكسة كما قال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله ، ومثله ترك المواظبة على تكبيرة الإحرام ، بعد إدراكها أربعين يوماً ، يعتبر نكوصاً على العقب وهل أمن قائل هذا القول مكر الله سبحانه ؟ وهل يأمن أن يزداد نكوصاً على عقيبيه ؟ فيتأخر عن الصلاة ، فإن لم يتب من ذلك ، فلا يلبث أن يؤخر الصلاة عن وقتها ، فإن لم يتب من ذلك ، فلا يلبث أن يصلي حيناً ، ويدع الصلاة حيناً آخر ، فإن لم يتب ، فلا يلبث أن يدع الصلاة بالكلية ، ويختم له بسوء الخاتمة.

ولعل ما ورد عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، كفاية وهداية ، حيث قال : (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنّ ، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم ، سنن الهدى ،

---

١ - انظر أضواء البيان للشنقيطي ج٨/٤٦٢.

٢ - رواه مسلم ج٣/٨ رقم ٢٠٢٥.

وإنهنّ من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر ، فيحسن الطهور ، ثم يَعمِد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف)[1] .

والموفق من صدق الله فصدقه ، صدق الله في دعائه بأن يكون من أهل تكبيرة الإحرام فصدقه الله ووفقه لإدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها ، وهذا محض فضل الله تعالى على العبد المؤمن ، فالمؤمن لا يدرك ذلك بحرصه ، ولا يأمننّ المؤمن على نفسه ، وليكن على خوف ووجل دائم من الله أن يرد على عقبه ، فتسلب منه هذه النعمة - إدراك تكبيرة الإحرام - وليجتهد في التذلل لله وحده ، وهو خائف وجل ، يرجو ربه أن لا يحرمه إدراك تكبيرة الإحرام ، وأن يبقي عليه هذه النعمة وغيرها ، ولا يسلبه إياها ، وأن يختم له بالحسنى ، فإذا ختم له وهو مواظب على تكبيرة الإحرام مع الإمام كانت هذه بشارة له ، ورجونا الله أن يكتب له براءة من النفاق ، وبراءة من النار .

---

١ - رواه مسلم ج١/٤٥٣ رقم٦٥٤ ، وأبو داود ج١/٢٠٦ رقم ٥٥٠.

قوله صلى الله عليه وسلم : (في جماعة) مع طائفة ولو واحداً في المسجد كما جاء في بعض الروايات والذي يظهر أن المراد بالجماعة هي جماعة المسجد الأولى الذي عين لها إمام راتب ، لا الجماعة الثانية أو الثالثة كما يحصل في كثير من المساجد اليوم ؛ لأن جماعة المسجد الأولى هي المراد بها جمع المسلمين للصلاة ، وهي الجماعة التي من أجلها عمرت المساجد ، وهي الجماعة التي من أجلها شرع الآذان ، وهي الجماعة التي يعين لها الأئمة ، وهي محل بحث الفقهاء في مصنفاتهم وعليها مدار أحكامهم ، وعندما يطلق لفظ : (صلاة الجماعة) يراد بها جماعة المسجد الأولى ، وعندما يذكر الفقهاء (إعادة الجماعة أو تكرارها) فالمراد بذلك الجماعة الثانية أو الثالثة .

ويشهد لذلك ما أثر عن عمر رضي الله عنه أنه خرج إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر ، فقال عمر : إنا لله و إنا إليه راجعون ، فاتتني صلاة العصر في الجماعة ، أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة ، ليكون كفارة لما صنع عمر[1] . فلم يعزي نفسه رضي الله عنه بما فاته من صلاة العصر في جماعة ، بأنه سيصلي جماعة ثانية في المسجد أو مع أهله في بيته ، بل لم يجد كفارة لذلك إلا أن يتصدق بذلك البستان على المساكين ، ليكون كفارة له بما فاته من فضل وأجر كبير.

---

١ - انظر الكبائر للذهبي ج١/١٧.

وليس من العدل والإنصاف أن يقال لمن سُبق بتكبيرة الإحرام وأدرك الركعة الأولى في جماعة المسجد الأولى : لقد فاتته فضيلة تكبيرة الإحرام . ثم يقال لمن فاتته صلاة الجماعة الأولى كلها ، ثم أنشأ صلاة جماعة ثانية أو ثالثة مع المتأخرين من أمثاله : أنه صلى في جماعة وأدرك فضيلة تكبيرة الإحرام !!.

والصحيح أن نقول له : لقد فاتته جماعة المسجد الأولى ، وأنه صلى في جماعة ثانية ، وهناك فرق كبير بين من أدرك تكبيرة الإحرام في جماعة المسجد الأولى ، وبين من فاتته الجماعة الأولى كلها ، ثم أدرك تكبيرة الإحرام في الجماعة الثانية أو الثالثة ، فإدراك تكبيرة الإحرام متعلق في جماعة المسجد الأولى ، وليس في الجماعة الثانية أو الثالثة ، والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (يدرك التكبيرة الأولى) جملة حالية ، وظاهرها تكبيرة الإحرام مع الإمام .

قوله صلى الله عليه وسلم : (براءة من النار) أي خلاص ونجاة منها ، يقال : برأ من الدين والعيب خلص .

ولا يخلص المكلف ولا يبرأ من النار إلا إذا أبعد نفسه عن موجبات دخولها ، وعمل بمقتضى النصوص الأخرى التي جاءت في الوعيد من النار والتحذير منها ، وأما من يقترف موجبات دخولها ، فإنه متوعد بالنار على قدر معصيته ، إلا أن يشاء الله ويغفر له إنه هو الغفور الرحيم ، فمثلاً الذي لا يكف لسانه عما حرم الله تعالى - ولم يتب من ذلك - متوعد بأن يكب على وجهه في النار ، ومثله الثرثار كثير الكلام

الذي يخوض في المباح ، لعله يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالاً ، فيهوي بها في النار ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار . قال : لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل . قال : ثم تلا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروته وسنامه ؟ قلت : بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه . قال : كف عليك هذا . فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)[1].

---

١ - رواه الإمام أحمد في المسند ج٥/٢٣١ رقم ٢٢٠٦٩ ، والحاكم في المستدرك ج٨/٢٠٩ رقم ٣٥٠٧ وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، والترمذي ج٥/١١ رقم ٢٦١٦ وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجة ج٢/١٣١٤ رقم ٣٩٧٣ ، والنسائي في السنن الكبرى ج٦/٤٢٨ . وابن ماجة ج٢/١٣١٤ رقم ٣٩٧٣ . وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ج٣/١١٤ رقم ١١٢٢ وقال : صحيح بمجموع طرقه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم)[1] .

فالثرثار الذي يكثر الكلام في المباحات ، والذي لا يكف لسانه عن المحرمات ، متوعد بالنار - مالم يتب من ذلك - ولا يمكن أن يستقيم حاله على تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها .

قوله صلى الله عليه وسلم : (وبراءة من النفاق) قال الطيبي : أي يؤمنه في الدنيا أن يعمل عمل المنافق ، ويوفقه لعمل أهل الإخلاص ، ويؤمنه في الآخرة مما يعذب به المنافق ، ويشهد له بأنه غير منافق، يعني بأن المنافقين (إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى)[2] وحال هذا بخلافهم[3] .

فمن وفق للمحافظة على تكبيرة الإحرام ، تراه نشيطاً في النهوض إلى الصلاة ، سابقاً إليها ، قد جاهد نفسه للخلاص والبراءة من أعمال المنافقين ، فتراه إذا حدث صدق ، وإذا وعد وفى، وإذا عاهد لا يغدر، وإذا خاصم لا يفجر، وإذا أؤتمن لم يخن. ولا يخلص المكلف ولا يبرأ من النفاق إلا إذا عمل بمقتضى النصوص الأخرى التي

---

١ - رواه البخاري ج٥/٢٣٧٧ رقم ٦١١٣ ، باب حفظ اللسان .

٢ - النساء الآية ١٤٢.

٣ - انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري ج٤/٢٥٥ ، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ج٢/٤٠.

حذرت من النفاق وبينت خصاله والبراءة منها أجلى بيان، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أربع خلال من كن فيه كان منافقاً خالصاً من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر. ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها) [1] وفي رواية : (وإذا أؤتمن خان) [2].

ومن وقع في عمل من أعمال المنافقين ، لم يخلص ولم يبرأ من النفاق ، وإنما فيه خصلة من النفاق حتى يتوب إلى الله ويدعها ، ومن كانت فيه خصلة من النفاق لا يستقيم على تكبيرة الإحرام ، ولا يمكن أن يحافظ عليها البتة .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (براءة من النار ، وبراءة من النفاق) هذا باعتبار المآل ، وحسن المآب ، فمن صدق الله صدقه ، صدق الله في السؤال بأن يكون من أهل تكبيرة الإحرام ، وصدق الله في الإخلاص بأن ألزم نفسه بها وداوم وحافظ عليها لله وحده لا شريك له ، فصدقه الله تعالى بأن وفقه الله بالابتعاد عن موجبات النار وأهلها وعن النفاق وأهله ، فحال المنافقين (لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى) [3]

---

١ - رواه البخاري ج٣/١١٦٠ رقم ٣٠٠٧ ، ومسلم ج١/٧٨ رقم ٥٨ ، والترمذي ج٥/١٩ رقم ٢٦٣٢ ، وقال : حديث حسن صحيح، وإنما معنى هذا ثم أهل العلم نفاق العمل، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هكذا روي عن الحسن البصري شيئاً من هذا أنه قال : النفاق نفاقان نفاق العمل ونفاق التكذيب .

٢ - رواه البخاري ج١/٢١ رقم ٣٣ .

٣ - التوبة الآية ٥٤ .

وحال هذا النشاط والمسابقة إلى الصلاة والمواظبة على إدراك التكبيرة الأولى تحسبنّ أن إدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها أمر هين ، فالمواظبة عليها صعيب وبعيد المنال على المنافقين وأهل المعاصي الغافلين ، وإنه لسهل هين على السادة الكرام ، المؤمنين الصادقين ، ثم من عاش مواظباً على إدراك تكبيرة الإحرام ، ومات على ذلك كانت له بشرى ، ونرجو الله الكريم أن يكتب لصاحبها براءة من النفاق ، وبراءة من النار .

والذي وقع في النفاق العملي أو فيه خصلة من النفاق ، فأنّى له المواظبة على إدراك تكبيرة الإحرام ؟ ومثله الغافل الذي يواقع المعصية في بياض نهاره وسواد ليله ، كمشاهدته للصور والمنكرات في وسائل الإعلام كجهاز الراني (التلفاز) [1] والصحف والمجلات ثم لا يحدث لذلك توبة صادقة، أنّى له المواظبة على إدراك تكبيرة الإحرام؟

---

١ – التلفاز مشتقة من كلمة تلفزيون الأعجمية لاسم الآلة على وزن مفعال ، وهذا اللفظ هو الأكثر استعمالاً وشيوعاً ، ويستعمل بعض الناس لفظ (الرائي) وهو اسم فاعل بمعنى اسم المفعول أي المرئي ، ولعل الأقرب إلى الصواب أن يطلق على هذا الجهاز لفظ (الراني) لأنه يعني المسموع المرئي في آن واحد ، أو (مرناة) لاسم الآلة كمكواة على وزن مفعال من الفعل رنا يرنو أي ينظر ويسمع معاً ، فالرّنوّ هو إدامة النظر مع سكون الطرف ، وهو كذلك مع شغل القلب والبصر وغلبة الهوى ، ورنا طرب ، وفلان رَنُوٌ فلانة أي يرنو إلى حديثها ويعجب به ، ورجل رَنَّاءٌ بالتشديد الذي يديم النظر إلى النساء ، وقولهم في الفاجرة : تُرنى هي تُفعَلُ من الرُّنُوّ أي يدام النظر إليها ، وترنى ككبرى : الزانية . انظر القاموس المحيط للفيروزبادي باب الياء فصل الراء ص٣٧١ ، ولسان العرب لابن منظور ج٥/٣٣٥ . قلت : وكل هذه المعاني التي جاءت في اللغة موجودة في هذا الجهاز المستحدث . انظر كتابي التلفاز وما يتبعه من فيديو وفضائيات في ميزان الشريعة .

وإن أدرك تكبيرة الإحرام يوماً ، فأنّى له المواظبة عليها أربعين يوماً ؟ - أي مئتي فرض - وكلما اقترب الرجل من المعاصي أكثر ، تأخر عن الصلاة أكثر ، فالغفلة والمعصية قيد تمنع صاحبها من إدراك تكبيرة الإحرام أو إدراك الركعة الأولى أو إدراك صلاة الجماعة كلها ، وربما منعته عن إدراك الصلاة في وقتها ، وربما منعته عن الصلاة كلها ، بحسب قربه أو بعده عن المعصية صغيرها وكبيرها .

وكان بعض السلف يقول : ما فاتت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه[1] .

وأقول : وما فاتت تكبيرة الإحرام أحداً إلا بذنب أصابه ، أو نفاق عملي وقع به ، فالتوبة من الذنوب والغفلات ، والإكثار من ذكر الله ونوافل الطاعات ، تجعل صاحبها يحافظ على فروض الصلوات ، مدركاً لتكبيرة الإحرام دون فوات .

وإذا فاتتك تكبيرة الإحرام يوماً ، فأكثر من الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله تعالى ، وخف على نفسك من النفاق ، واتهمها وفتش قلبك ، فلعلك خضت فيما لا يعنيك ، أو تكلمت بكلمة لم تلق لها بالاً ، فأوقعتك في النفاق وأنت لا تدري ، فمنعك ذلك من إدراك تكبيرة الإحرام ، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم ، يخافون النفاق على أنفسهم ، وكان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه ، حتى كان يسأل حذيفة - رضي الله عنه - عن نفسه ، وأنه هل ذكر في المنافقين ؟ وكان حنظلة رضي الله عنه يقول عن نفسه : نافق حنظلة[2] .

---

١ - انظر الكبائر للذهبي ج١/١٧.

٢ - رواه مسلم ج٤/٢١٠٦ رقم ٢٧٥٠.

قال النووي : معناه خاف أنه منافق[1] . وقال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كلهم يخاف النفاق على نفسه . وعن الحسن قوله : ما خافه إلا مؤمن ، ولا أمنه إلا منافق[2].

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، اللهم لا تجعلنا ممن يأمن مكرك لحظة ولا أقل من ذلك ، اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

---

١ - انظر شرح النووي على مسلم ج١٧/٦٦.

٢ - انظر صحيح البخاري ج١/٢٦.

المبحث الثالث : الأحاديث والآثار الواردة في التبكير للصلاة وفيمن سمع النداء .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأحاديث الواردة في التبكير للصلاة وفيمن سمع النداء .

المطلب الثاني : الآثار الواردة في التبكير للصلاة وفيمن سمع النداء .

المطلب الأول : الأحاديث الواردة في التبكير للصلاة ، وفيمن سمع النداء .

لا شك أن من كان ديدنه التبكير في الذهاب إلى المسجد ، فلن تفوته تكبيرة الإحرام والأحاديث التي ترغب المؤمن في التبكير إلى صلاة الفريضة كثيرة معلومة ، ولعلي أذكر طرفاً منها :

أولاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه ، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا)[1].

قال في الفتح : قوله التهجير : أي التبكير إلى الصلاة[2].

ثانياً : وعن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من غسل يوم الجمعة واغتسل ، ثم بكر وابتكر، ومشى ولم

---

١ – رواه البخاري ج١/٢٢٢ رقم ٥٩٠.

٢ – انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٢/٩٧. قلت : من أراد نوال فضيلة الصف الأول ، فعليه بالتهجير والتبكير إلى المسجد ؛ ليدرك مكاناً له في الصف الأول وإلا فلا يصح أن يأت الرجل متأخراً ، ويتخطى الرقاب ، ويؤذي المسلمين ، حتى يصل للصف الأول ، فعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : (جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجلس فقد أذيت وآنيت) رواه ابن الجارود في المنتقى ج١/٨٢ رقم ٢٤٩. ومعنى آنيت: أي تأخرت . ومما يستفاد من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه : أن الغاية لا تبرر الوسيلة ، فمن أراد الوصول للغاية المشروعة ، فعليه أن يسلك الوسيلة المشروعة .

يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها)[1].

قال ابن رجب رحمه الله : وقد دل على استحباب التبكير من أول النهار حديث أوس بن أوسٍ رضي الله عنه ، وظاهر الحديث : يدل على تقسيم يوم الجمعة إلى اثني عشر ساعة ، وأن الخطبة والصلاة يقعان في السادسة منها ، ومتى خرج الخطيب طوت الملائكة صحفها ، ولم يكتب لأحدٍ فضل التبكير ، وهذا يدل على أنه بعد الزوال لا يكتب لأحد شيءٌ من فضل التبكير إلى الجمعة بالكلية . وظاهر الحديث : يدل على تقسيم نهار الجمعة إلى اثني عشر ساعةً مع طول النهار وقصره فلا يكون المراد به الساعات المعروفة من تقسيم الليل والنهار إلى أربعة وعشرين ساعة ؛ فإن ذَلِكَ يختلف باختلاف طول النهار وقصره[2].

وقال أبو زرعة رحمه الله : لا أعلم حديثاً كثير الثواب مع قلة العمل أصح من حديث : (من بكر وابتكر)[3].

ثالثاً : وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب

---

١ – رواه الإمام أحمد ج٩/٤ برقم ١٦٢١٧ ، والترمذي برقم ٤٩٦ ج٣٦٧/٢ ، وأبو داود برقم ٣٤٥ ج١٤٨/١ والنسائي ج٩٥/٣ برقم ١٣٨١ ، وابن ماجة ج٣٤٦/١ برقم ١٠٨٧.

٢ – فتح الباري لابن رجب الحنبلي ج١٥٨/٦.

٣ – انظر فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ج١٨٩/٣.

نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه)[1].

قال في عمدة القاري : وتعلق قلبه بالمسجد كناية عن انتظاره أوقات الصلوات ، فلا يصلي صلاة ، ويخرج منه إلا وهو منتظر وقت صلاة أخرى حتى يصلي فيه ، وهذا يستلزم صلاته أيضاً بالجماعة[2].

قلت : ويستلزم أيضاً صلاته للسنن الرواتب ، وإدراكه لتكبيرة الإحرام مع الإمام ؛ لأنه يتحين وقت الصلاة حتى يذهب للمسجد بلا تأخير أو تسويف .

رابعاً : وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال : (مروا أبا بكر أن يصلي بالناس) فقلت : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، فقال : (مروا أبا بكر يصلي بالناس) فقلت لحفصة : قولي له : إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، قال : (إنكنّ لأنتنّ صواحب يوسف ، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس) فلما دخل في الصلاة ، وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة ، فقام يهادى بين رجلين

---

١ – رواه البخاري ج٦/٢٤٩٦ برقم ٦٤٢١ ، ومسلم ج٢/٧١٥ برقم ١٠٣١ .
٢ – عمدة القاري ج٥/١٧٨.

ورجلاه تخطان في الأرض ، حتى دخل المسجد ، فلما سمع أبو بكر حسه ، ذهب أبو بكر يتأخر ، فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جلس عن يسار أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي قائماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعداً ، يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والناس مقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه)[1].

ومعنى (يهادى بين رجلين) أي يمشي بينهما متكئا عليهما يتمايل إليهما .

---

١ – رواه البخاري ج١/٢٥١ رقم ٦٨١ ، ومسلم ج١/٣١١ رقم ٤١٨ .

المطلب الثاني : الآثار الواردة في التبكير للصلاة ، وفيمن سمع النداء .

لقد حرص السلف الصالح على المحافظة على صلاة الجماعة حيث ينادى لها والتبكير إليها ، وكانوا إذا سمعوا النداء تركوا البيع والشراء ، ومشوا إلى ذكر الله تعالى بسكينة ووقار ، فهم رجال وقروا صلاتهم ، فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ولا يمنعهم عنها تعب أو مرض ، بل راحتهم وشفاؤهم وقرة عيونهم في الصلاة ، ومن كان هذا حاله وديدنه ، فكيف تفوته تكبيرة الإحرام ؟ وقد جاءت الآثار عن السلف الصالح أقوالاً وأفعالاً تبين حرصهم الشديد على التبكير إلى الصلاة ، وإليك طرفاً منها :

أولاً : قال بعض السلف في قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾[1] إنهم أول الناس خروجاً إلى المسجد وإلى الجهاد[2] .

ثانياً : عن أبي الأحوص عن عبد الله ـ بن مسعود ـ قال : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنّ ، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى ، وإنهنّ من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر ، فيحسن الطهور ، ثم يَعمِد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها

---

١ – الواقعة الآية ١٠ .

٢ – فتح الباري لابن رجب الحنبلي ج٤/٢٤٣ .

سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف [١] .

ثالثاً : وكان الربيع بن خيثم رحمه الله ، يقاد إلى الصلاة وبه الفالج ، فيقال له : يا أبا يزيد قد رخص لك قال : إني أسمع حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، فإن استطعتم أن تأتوها ولو حبواً [٢] .

والفالج : شلل يصيب أحد شقي الجسم طولاً [٣].

رابعاً : وكان محمد بن خفيف رحمه الله به وجع الخاصرة ، وكان إذا أصابه أقعده عن الحركة ، وكان إذا نودي للصلاة يحمل على الظهر ، فقيل له : لو خففت على نفسك ؟! قال : إذا سمعتم حي على الصلاة ، ولم تروني في الصف ، فاطلبوني في المقابر [٤] .

خامساً : سمع عامر بن عبد الله بن الزبير رحمه الله ، المؤذن وهو يجود بنفسه ومنزله قريب من المسجد ، قال : خذوا بيدي ، فقيل له : إنك عليل ، فقال : أسمع

---

١ - رواه مسلم ج١/٤٥٣ برقم ٦٥٤ ، وعبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه ، كما في رواية أبي داود ج١/٢٠٦ رقم ٥٥٠ .

٢ - الطبقات الكبرى للزهري ج٦/١٨٩ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٤/٢٦٠.

٣ - المعجم الوسيط ج٢/٦٩٩.

٤ - تاريخ دمشق لابن عساكر ج٥٢/٤١٥.

داعي الله فلا أجيبه ؟! فأخذوا بيده ، فدخل في صلاة المغرب ، ركع مع الإمام ركعة ثم مات [1].

سادساً : عن سفيان بن عيينة رحمه الله : لا تكن مثل عبد السوء لا يأتي حتى يدعى إيت الصلاة قبل النداء . وقال أيضاً : من توقير الرجل الصلاة أن يأتي إليها قبل الإقامة [2].

سابعاً : قال البرد مولى سعيد بن المسيب : ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد [3].

---

١ – صفة الصفوة لابن الجوزي ج٢/١٣٢. قلت : وهذا في السلف الصالح كثير ، ومن عاش على شيء مات عليه ، وقد توفي عامر بن عبد الله بن الزبير رحمه الله في آخر ولاية هشام بن عبد الملك عام ١٢٤هـ ، وممن مات ساجداً إمام التفسير مجاهد بن جبر رحمه الله ، ت عام ١٠٢هـ . انظر صفة الصفوة لابن الجوزي ج٢/٢١١ . والإمام شيخ الإسلام حماد بن سلمة مات في المسجد وهو يصلي ، ت ١٦٧هـ . انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ج٦/٢٥٠ ، وتهذيب الكمال للمزي ج٦/٧٧ . وفي زماننا هذا الشيخ عبد الحميد كشك الخطيب والداعية المصري المعروف ، مات وهو ساجد قبيل صلاة الجمعة في١٦ شعبان ١٤١٧هـ ، والشيخ العلامة الأصولي مصطفى بن سعيد الخن الدمشقي ، مات في جامع الحسن بميدان دمشق والإمام - مفتي الشافعية وشيخ القراء محمد كريم راجح - يخطب الجمعة في٢٣ محرم ١٤٢٩هـ ، رحمهم الله رحمة واسعة وأحسن لنا العمل والخاتمة .

٢ – انظر صفة الصفوة ج٢/٢٣٥ ، وحلية الأولياء ج٧/٢٨٥.

٣ – حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٢/١٦٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج٩/١٠٠.

ثامناً : قال ربيعة بن يزيد : ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً[1].

تاسعاً : قال عدي بن حاتم رضي الله عنه : ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء . وقال أيضاً : ما جاء وقت صلاة قط إلا وقد أخذت لها أهبتها ، وما جاءت إلا وأنا إليها بالأشواق[2].

عاشراً : قال مطر الوراق : كانوا يبيعون ويشترون ، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء ، وميزانه في يده خفضه ، وأقبل إلى الصلاة[3].

الحادي عشر : قال أبو داود : كان إبراهيم الصائغ رجلاً صالحاً ... وكان إذا رفع المطرقة فسمع النداء سيبها[4].

---

١ - شعب الإيمان للبيهقي رقم ٢٩٣٠ ج٣/٧٩ ، والثقات لابن حبان ج٤/٢٣٢.

٢ - تهذيب الكمال للمزي ج١٩/٥٢٩ ، والإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٤/٤٧٠ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٢/٢٨٩.

٣ - تفسير ابن كثير ج٣/٣٩٠ .

٤ - انظر سنن أبي داود ج٢/٢٤٣ ، قال صاحب عون المعبود : هو إبراهيم بن ميمون المروزي الصائغ ، أحد الثقات ، وثقه ابن معين . ج٩/١١٣.

المبحث الرابع :

الآثار الواردة في إدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها .

وفيه مطلب واحد :

عمل السلف الصالح وحرصهم الشديد على المواظبة على تكبيرة الإحرام ، وأقوالهم فيمن فاتته تكبيرة الإحرام .

عمل السلف الصالح وحرصهم الشديد على المداومة على تكبيرة الإحرام ، وأقوالهم فيمن فاتته تكبيرة الإحرام .

لقد جاءت الآثار عن السلف الصالح أقوالاً وأفعالاً ، تبين حرصهم الشديد على المداومة على تكبيرة الإحرام ، فكانوا هم الرجال لا تليهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وكانوا هم العلماء ورثة الأنبياء ، وكانوا هم الدعاة بحق لا يلهيهم جاه ولا شهرة عن ذكر الله ، وقروا صلاتهم ، وسعوا للوجاهة عند ربهم ـ فيما نحسب ـ فبقي ذكرهم إلى يومنا هذا ... وإليك طرفاً من آثارهم :

أولاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل شيء صفوة ، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى)[1] .

ثانياً : وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لكل شيء أنفة ، وإن أنفة الصلاة التكبيرة الأولى فحافظوا عليها) قال أبو عبيد : فحدثت به رجاء بن حيوة ، فقال : حدثتنيه أم الدرداء عن أبي الدرداء[2] .

---

١ – انظر شعب الإيمان للبيهقي ج٣/٧٣ رقم٢٩٠٨ ، ومسند أبي يعلى ج١١/٣ رقم ٦١٤٣ ، وقال المحقق حسين سليم الأسد : إسناده ضعيف جداً ، والفردوس للديلمي ج٣/٣٣١ رقم ٤٩٩٤ . وضعيف الجامع للألباني رقم ٤٧٢٧ .

٢ – انظر شعب الإيمان للبيهقي ج٣/٧٣ برقم ٢٩٠٧ ، ومصنف ابن أبي شيبة ج١/١٢٧ رقم ٣١٢٠ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ج٥/١٧٧، ومسند الشاميين للطبراني ج٦/ ٢٦٥ رقم ٢٠٧٣ ، وقال الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الكبير بنحوه موقوفاً، وفيه : رجل لم يسم . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٢/١٢٣. وقال ابن حجر : في إسناده مجهول . انظر التلخيص الحبير ج٢/٢٨. والسلسلة الضعيفة للألباني ج٦/١٢٢ رقم ٢٦٢١ وضعيف الجامع للألباني رقم ١٩٢٨.

قال ابن الأثير رحمه الله : أُنْفَة الشيء : ابتداؤه هكذا روي بضم الهمزة . قال الهروي : والصحيح بالفتح [1].

ثالثاً : وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما جعل الأذان الأول لِيَتَيَسَّرَ أهل الصلاة لصلاتهم ، فإذا سمعتم الأذان فأسبغوا الوضوء ، وإذا سمعتم الإقامة فبادروا التكبيرة الأولى ، فإنها فرع الصلاة وتمامها ، ولا تبادروا القارئ الركوع والسجود) [2].

رابعاً : وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (التكبيرة الأولى يدركها أحدكم مع الإمام خير من ألف بدنة يهديها) [3].

خامساً : وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (التكبيرة الأولى وصلاة القيام خير من إبل ألف) [4].

---

١ – انظر النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ج١/١٨٠.

٢ – رواه أبو نعيم في الحلية ج٤/٣٠٢، والطبراني في المعجم الكبير ج١٠/١٧٨ رقم ١٢٢١٤. قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه جبلة بن سليمان ، ضعفه ابن معين . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٢/٢ رقم ١٨٦٥.

٣ – رواه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ج١/١٢٢ رقم ١٠٦. وقال السيوطي في الجامع الكبير : أخرجه الديلمي ج٢/٧٦ رقم ٢٤٢٤ . وعزاه له أيضاً المتقي الهندي في كنز العمال ج٧/٧١٦ رقم ١٩٦٤٩. والبُدن والبَدَنَة : تقع على الجمل والناقة والبقرة ، وهي بالإبل أشبه ، وسميت بدَنةً لِعِظَمِها وسِمْنَها .

٤ – الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ج١/١٢٥ رقم ١٠٩، والإبل : الجمال والنوق ليس له مفرد من لفظه .

سادساً : وعن يحيى بن أبي كثير أن رجلاً تهاون أو تخلف عن الصلاة حتى يكبر الإمام ، قال ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم : لما فاتك منها خير من ألف [1].

سابعاً : وعن أنس رضي الله عنه قال : (اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم حذيفة ، قال رجل منهم : ما يسرني أني فاتتني التكبيرة الأولى مع الإمام وأن لي خمسين من الغنم . وقال الآخر : ما يسرني أنها فاتتني مع الإمام وأن لي مائة من الغنم . وقال الآخر : ما يسرني أنها فاتتني مع الإمام وأن لي ما طلعت عليه الشمس . وقال الآخر : ما يسرني أنها فاتتني مع الإمام وأني صليت من العشاء الآخرة إلى الفجر ، ولو فعلت ما رأيت أني فعلت ما فاتتني) [2].

وفي شعب الإيمان للبيهقي رحمه الله : عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله : ما يسرني أني انتهي إلى صلاة مكتوبة وقد سبقني الإمام بالتكبيرة الأولى وهي ذروة الصلاة ولي ستون من الإبل . وقال آخر من الصحابة : ما يسرني أني انتهي إلى صلاة مكتوبة وقد سبقني الإمام ولي مائتان من الإبل . وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : ما يسرني أني انتهي إلى صلاة مكتوبة ، وقد سبقني الإمام بالتكبيرة الأولى وهي ذروة الصلاة ، ولي ما طلعت عليه الشمس . وقال آخر من الصحابة :

---

١ – مصنف عبد الرزاق ج١/٥٢٨ رقم ٢٠٢٠.

٢ – الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ج١/١٢٣ رقم ١٠٧.

ما يسرني أن انتهي إلى صلاة مكتوبة ، وقد سبقني الإمام بتكبيرة الإحرام ، ثم صليت ما بين الفجر إلى المغرب ما عدل تلك التكبيرة[1] .

ثامناً : وعن مجاهد قال : سمعت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا أعلمه إلا ممن شهد بدراً قال لابنه : أدركت التكبيرة الأولى؟ قال : لا ، قال: لما فاتك منها خير من مئة ناقة كلها سود العين[2] .

تاسعاً : وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : عليكم بحد الصلاة ، التكبيرة الأولى[3] . وعنه رضي الله عنه : أنه جعل يهرول إلى المسجد ، فقيل له : أتفعل هذا وأنت تنهى عنه ؟ قال : إنما بادرت حد الصلاة التكبيرة الأولى[4] .

---

١ – شعب الإيمان للبيهقي ج٣/٧٤ رقم ٢٩١١ .

٢ – انظر مصنف عبد الرزاق ج١/٥٢٨ رقم ٢٠٢١ . قلت : وفي كتاب الكبائر للذهبي روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قوله : خرج عمر يوماً إلى حائط له ، فرجع ، وقد صلى الناس العصر فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتتني صلاة العصر في جماعة أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة . قال الذهبي : ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه . والحائط : البستان فيه النخل . انظر الكبائر للذهبي ص٦٢ .

٣ – انظر مصنف ابن أبي شيبة ج١/٢٧٣ رقم ٣١١٨ .

٤ – انظر معجم الطبراني الكبير ج٩/٢٥٤، رقم٩٢٥٩. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٢/٣٢ : رواه الطبراني في الكبير، وفيه من لم يسم . ورواه ابن المنذر أبو بكر النيسابوري في الأوسط ج٦/١٢٣ رقم ١٨٨٢.

عاشراً : وعن ثابت البناني عن أنس بن مالك في قوله تعالى : ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾[1] قال : التكبيرة الأولى . ومثله عن مقاتل ، ومثله عن مكحول الشامي[2].

الحادي عشر : وعن إبراهيم التيمي رحمه الله قال : إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه[3].

الثاني عشر : وعن وكيع بن الجراح رحمه الله قال : من لم يدرك التكبيرة الأولى فلا ترجو خيره[4].

ومثله أيضاً قوله رحمه الله : إذا رأيت الرجل لا يقيم تكبيرة الإحرام فأي شيء ترجو منه[5] ؟!.

الثالث عشر : وقال سعيد بن المسيب رحمه الله : ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة ، وما نظرت في قفا رجل منذ خمسين سنة[6].

---

١ – الحديد الآية ٢١.

٢ – انظر شعب الإيمان للبيهقي ج٣/٧٢ رقم ٢٩٠٦، وفتح الباري لابن رجب ج٤/٢٤٣ ، وتفسير القرطبي ج٤/٢٠٣ .

٣ – حلية الأولياء ج٤/٢١٥ ، وصفة الصفوة ج٣/٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ج٥/٦٢ .

٤ – انظر شعب الإيمان ج٣/٧٤ رقم٢٩١١ ، والترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ج١/١٢٦ رقم ١١٠.

٥ – التمهيد لابن عبد البر ج٩/١٨٦.

٦ – حلية الأولياء لأبي نعيم ج٢/١٦٣.

وقال البرد مولى سعيد بن المسيب : ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد [1] .

الرابع عشر : وقال وكيع عن الأعمش : اختلفت إليه قريباً من سنتين ما رأيته يقضي ركعة ، وكان قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى [2].

الخامس عشر : وعن أسيد بن جعفر بن أخي بشر بن منصور السليمي قال : ما رأيت عمي فاتته التكبيرة الأولى [3] .

السادس عشر : وعن علي الديلمي قال : سمعت عبد الرحمن يقول : ما رأيت الشيخ ـ محمد بن خفيف ـ قط فاتته تكبيرة الإحرام في جميع صلواته منذ رأيته [4].

السابع عشر : وعن أحمد بن عمران قال : سمعت محمد بن سماعة التيمي، يقول: مكثت أربعين سنة لم تفتني تكبيرة الإحرام إلا يوم ماتت أمي ، فصليت خمساً وعشرين صلاة أريد التضعيف [5] .

---

١ – حلية الأولياء لأبي نعيم ج٢/١٦٣، والبداية والنهاية لابن كثير ج٩/١٠٠.

٢ – حلية الأولياء لأبي نعيم ج٥/٤٩ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٤/١٩٦، وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٦/٢٨٨ ، وتذكرة الحفاظ للقيسراني ج١/١٥٤ ، ومسند ابن الجعد ج١/١٢٢ رقم ٧٥٥ .

٣ – انظر حلية الأولياء ج٦/٢٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ج٨/٣٦٠

٤ – تاريخ دمشق لابن عساكر ج٥٢/٤١٥.

٥ – سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٠/٦٤٦ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٩/١٨١. قلت : وفي كتاب الكبائر للذهبي عن عبيد الله بن عمر القواريري ـ شيخ البخاري ومسلم ـ قال : لم تفتني صلاة العشاء في الجماعة قط . فنزل بي ـ ليلة ـ ضيف فشغلت بسببه ، وفاتتني صلاة =

الثامن عشر : وقال ربيعة بن يزيد : ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً[1] .

التاسع عشر: وعن حبيب بن أبي حبيب البجلي قوله : كان السلف إذا فاتتهم - أي التكبيرة الأولى - عزوا أنفسهم ثلاثة أيام ، وإذا فاتتهم الجماعة عزوا أنفسهم سبعة أيام[2].

قلت : لأنهم خافوا أن لا ينالوا الشهادة العالية الغالية على نفوسهم ، وهي شهادةٌ بالبراءة من النفاق ، وشهادةٌ بالبراءة من النار ، فحريٌ بالمؤمن إذا فاتته تكبيرة الإحرام أن يرجع إلى نفسه فيعزيها قبل أن يعزيه الناس ، وذلك لأليم مصابه وفقده لعظيم الأجر المترتب على فوات تكبيرة الإحرام ، وحري به أن يرجع إليها ثانية ويتهمها ويخشى عليها الرياء والنفاق ، يقول الفضيل بن عياض رحمه الله : لو حلفت أني

= العشاء في الجماعة فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد ، فرجعت إلى بيتي ، وقلت : قد ورد في الحديث أن صلاة الجماعة تزيد صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل ، وأنا أيضاً على فرس ونحن نستبق ، وأنا أركض فرسي فلا ألحقهم . فالتفت إليّ أحدهم ، فقال : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا . قلت : ولم ؟ قال : لأنا صلينا العشاء في جماعة ، وأنت صليت وحدك . فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك . انظر الكبائر للذهبي ص٦٢ .

١ - شعب الإيمان للبيهقي رقم ٢٩٣٠ ج٣/٧٩ ، والثقات لابن حبان ج٤/٢٣٢.

٢ - انظر تحفة الأحوذي للمباركفوري ج٢/٤٠ ، وشرح سنن ابن ماجه ج١/٥٨ ، وإحياء علوم الدين للغزالي ج١/١٤٩.

مراء كان أحب إليَّ من أن أحلف أني لست بمراء[1] . وأن يرجع إليها ثالثة ورابعة ... ليحاسبها ، فلعله تكلم بكلمة منعته من إدراك تكبيرة الإحرام ، وكان كهمس بن الحسن رحمه الله يحاسب نفسه ويقول لها : قومي يا مأوى كل سوء فو الله ما رضيتك لله عز وجل طرفة عين[2].

العشرون : وقال حاتم الأصم رحمه الله : فاتتني ـ مرة ـ صلاة الجماعة ، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان .

قال الذهبي رحمه الله : لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا[3].

فاحذر أخي المسلم أن تكون مصيبة فوات تكبيرة الإحرام أهون عندك من مصيبة الدنيا ، واحرص على إدراك تكبيرة الإحرام وواظب عليها ، فهي حد الصلاة وصفوتها وأنفتها ، وإدراك تكبيرة الإحرام علامة ظاهرة على توقير الرجل لصلاته ومحافظته عليها وإقامته لها وخشوعه فيها ، وهي علامة فارقة بين رجل يوقر صلاته ويقيمها ويخشع فيها ، وبين رجل آخر لا يوقر صلاته ، وما عرف الخشوع ، وما ذاق طعمه واحذر أخي المسلم الغفلة والوقوع في المعاصي ، فالرجل الذي يواقع المعصية ولا يحدث لها توبة ، لا يقرب المساجد إلا هجراً ، ولا يأت الصلاة إلا دبراً[4] ، ودأبه

---

١ – سير أعلام النبلاء للذهبي ج٨/٤٣٤.

٢ – حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٣/٥٧ .

٣ – انظر الكبائر للذهبي ص٦٢.

٤ – حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن للمنافقين علامات يعرفون بها ـ وذكر منها ـ لا يقربون المساجد إلا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً ..) رواه أحمد =

التأخر عن الصلاة ، فيأتي عجولاً ويصلي مسبوقاً ، فرجل هذا حاله أنّى له إدراك تكبيرة الإحرام وتوقير صلاته والخشوع فيها ؟.

= في المسند ج٢/٢٩٣ رقم ٧٩١٣ ، والبيهقي في الشعب ج٣/٨٧ رقم ٢٩٦٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج١/١٠٧ وقال : رواه أحمد والبزار ، وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي ، وثقه يحيى بن معين وغيره ، وضعفه الدارقطني وغيره .

الفصل الثاني

الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها والقواعد والأصول المتعلقة بها

المبحث الأول :

الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها.

وفيه مطلب واحد :

الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها، وبيان أنها كالأسوار المنيعة التي تحيط بقلعة الصلاة .

الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها ، وبيان أنها كالأسوار المنيعة التي تحيط بقلعة الصلاة :

الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها ، أو الأسباب التي تمنعك من التأخير عن تكبيرة الإحرام هي أسباب كثيرة ومتنوعة ، وكلما أخذ المؤمن بهذه الأسباب أكثر ، فقد أدرك تكبيرة الإحرام وحافظ عليها أكثر ، وصار - بإذن الله - في حرز ومنعة من أن تفوته ولو مرة واحدة ، فصلاة الفريضة كالقلعة ، وهذه الأسباب كالأسوار المنيعة المحيطة بها ، فإذا سطا الشيطان - نعوذ بالله منه - على القلعة فأخرك عن تكبيرة الإحرام أو عن الركعة الأولى أو الثانية أو شغلك عن الصلاة كلها ، فاعلم أن الخلل في أسوار القلعة ولو كان للقلعة أسواراً منيعة ومتعددة لما تسلل الشيطان - نعوذ بالله منه - وتمكن من الوصول إلى القلعة ، لينقضها حجراً حجراً ، فسد الخلل ، وحصن القلعة ، وأكثر الأسوار من حولها .

والخلاصة : إن مثل فريضة الصلاة كالقلعة ، وتقوى الله وسائر النوافل والطاعات كالأسوار المنيعة التي تحيط بها ، فإذا تأخرت عن تكبيرة الإحرام يوماً ، فاتهم نفسك وتقصيرك في تقوى الله وسائر النوافل والطاعات ، أو اتهمها في الوقوع في المعاصي والمنكرات في ذلك اليوم ، وإذا قصرت في النوافل والطاعات فابتعد عن المعاصي والمحرمات لعلك تدرك تكبيرة الإحرام بلا فوات .

ولعلي أبين مكانة بعض الأسوار المنيعة التي غفل عنها كثير من المسلمين ، فكانت سبباً لتأخيرهم عن تكبيرة الإحرام ، منها :

السور الأول : العلم بمكانة تكبيرة الإحرام وفضلها :

إن العلم بمكانة تكبيرة الإحرام وفضلها سور عظيم ، والعلم بمكانتها وعظيم ثوابها وحسن مآب من حافظ عليها - من غير تأويلات أو تصورات خاطئة - تجعل العبد شديد الحرص على المواظبة عليها ، ويندم كثيراً لو ضاعت منه مرة ، وحرص المرء على الشيء فرع عن علمه بمكانته العالية والغالية ، ألا ترى العروس تحرص على مصاغها لعلمها جيداً بمكانته لديها .

فمن يرى أن حديث تكبيرة الإحرام حديث ضعيف لا يعول عليه ، فلن تراه حريصاً على تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها .

والحديث كما بينت سابقاً [1] بمجموع طرقه الأربعة عن أنس رضي الله عنه لا ينزل عن درجة الحسن ، روي منها مرفوعاً وموقوفاً ، وما جاء منها موقوفاً فمثله لا يقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع ، وبقية الطرق عن عمر بن الخطاب وأبي الكاهل الأحمسي رضي الله عنهما إن لم تزده قوة فلن تؤثر فيه ضعفاً .

ومعلوم أن السلف الصالح تساهلوا ولم يشددوا في الرواية والعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، ومرادهم بالحديث الضعيف ما سمي بعدهم بالحسن ؛ لأن الحديث عندهم صحيح وضعيف فما لم يبلغ درجة الصحيح فهو ضعيف في اصطلاهم ، وفي هذا يقول الإمام أحمد : الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي .

---

١ - انظر هامش ص ٤٧ و ٤٨ .

ومثله قول الإمام عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله : إذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال ، وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات تساهلنا في الأسانيد[1].

وحديث الباب لا ينزل عن درجة الحسن ، فهو يعمل به في فضائل الأعمال . وسلفنا الصالح رحمهم الله قد عملوا به ، وأقوالهم وأعمالهم تظهر حرصهم الشديد على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها ، وهذا كله يدل على أن إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام والمواظبة عليها سنة متبعة مؤكدة ، والله أعلم .

ومن لا يعول على حديث الباب ولا يكترث بأقوال وأعمال السلف الصالح ، فلا تطمع منه أن يكون حريصاً على تكبيرة الإحرام والمداومة عليها ، فالقوة العملية فرع عن القوة العلمية والإيمانية ، فالعمل والمواظبة على تكبيرة الإحرام إنما هو نتاج علمه وإيمانه بالأجر العظيم المترتب على المداومة على تكبيرة الإحرام ، والله أعلم .

السور الثاني : تقوى الله تعالى والابتعاد عن المعاصي والمحرمات وكثرة الاستغفار :

تقوى الله سور منيع يحجزك عن المعاصي والمحرمات ، وإذا وقع العبد في المعصية فإن كثرة الاستغفار وسيده تعيد اعمار ما انهدم من سور التقوى ، ولقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم كثرة الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله ، فيقول

---

١ - انظر المستدرك للحاكم ج٢/١٤٢.

عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) [1] ويقول أيضاً : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ) [2] والنبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد عصمه الله من المعاصي والمحرمات وتاب الله عليه وغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلا شك أن من هو دونه أولى أن يكثر من الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله الغفور الرحيم .

ولعل قائل يقول : كيف يمكننا الابتعاد عن المعاصي والمحرمات لندرك تكبيرة الإحرام وكيف لنا أن نواظب عليها ؟! ونحن بشر لا ننفك عن الوقوع في المعصية؟!.

والجواب : لا شك أننا كلنا يقع في المعاصي والمحرمات ، ولا ينفك أحدنا عن المعصية ، والمراد أن العبد إذا وقع في معصية أو أصاب محرماً ، استغفر وتاب وأناب وأقلع عن ذنبه ، والمؤمن إذا غفل أو مسه طائف من الشيطان ووقع في الإثم والمعصية ، ثم جاءه من يذكره بالله ، ويقول له : يا عبد الله اتق الله ، لا يحل لك ما تصنع ، فإنه يتقي المحارم ويتذكر وينتهي ، ويقلع عن معصيته ، ولا يصر على فعلها قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [3] فالمتقي إذا مسه طائف من الشيطان تذكر ويقيمه الألم ولا يقعده ، وكأن ثعباناً لدغه ، يستغفر الله ، ولا يستكبر ولا يصر على ما فعل ، ويتوب ويؤوب إلى

---

١ – رواه مسلم ج٨/٧٢ رقم ٧٠٣٣ باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه .

٢ – رواه مسلم ج٨/٧٢ رقم ٧٠٣٤ باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه .

٣ – الأعراف الآية ٢٠١.

ربه توبة صادقة نصوحاً ، ويكثر من الاستغفار ، وتراه يسارع إلى الصلاة ، فهي محل الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله الغفور الرحيم .

فكثرة الاستغفار تمحو الذنوب والخطايا ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والإنابة إلى الله تعالى علامة المهتدين ، قال تعالى : ﴿ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1] فمن تاب وأناب إلى الله وفقه الله وهداه إلى إدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها .

أما الذي يصر على ارتكاب المحارم ، ولا يقلع عنها وإذا ذكرته ، ثم ذكرته ، فلا يلق لتذكيرك بالاً ، ولا يرفع له رأساً ، وكأن ذباباً وقع على أنفه ، فأشار له بيده ، فطار[2] فمن كان هذا حاله أنّى له إدراك صلاة الجماعة فضلاً عن تكبيرة الإحرام ؟.

السور الثالث : المحافظة على السنن الرواتب والمستحبات والنوافل :

إن المحافظة على السنن الرواتب والمستحبات والنوافل سور كبير ومرتفع ومتين ولا يمكن للشيطان ـ نعوذ بالله منه ـ أن يتخطاه ، إلا أن بناء هذا السور شديد الصعوبة ، لكن العبد إذا أحكم بناء هذا السور لا يمكن أن تفوته تكبيرة الإحرام إن شاء الله تعالى .

---

١ – الشورى الآية ١٣.

٢ – كما في الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (إن المؤمن الذي يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع أنفه ، فقال له : هكذا ، فطار) رواه البخاري ج٥/٢٣٢٤رقم ٥٩٤٩ ، وأحمد في المسند ج١/٣٨٣ رقم ٣٦٢٧ ، والترمذي ج٤/٦٥٨ رقم ٢٤٩٧.

وهنا مسألة :

أيهما أسهل على المكلف الفرائض أم السنن والمستحبات ونوافل الطاعات ؟.

والجواب : أن ما افترضه الله على عباده أسهل بكثير من المستحبات ومطلق النوافل ، فربنا الرحمن لا يكلف نفساً إلا وسعها ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾[1] فجميع المكلفين يستطيعون ويطيقون ما افترضه الله عليهم ، فهي سهلة وفي مقدورهم ، وليس لأحد حجة أن يترك ما افترضه الله عليه .

أما المستحبات ومطلق النافلة فهي صعبة وشديدة الوطأة على نفس المكلف ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾[2] فقيام الليل ومطلق النوافل والمستحبات أمر صعيب ولا يقوم به إلا قليل ، ولا يحافظ عليه إلا قليل من قليل .

وهذا أمر ملاحظ ومشاهد في المقارنة بين المحافظة على صلاة الفريضة وبين المحافظة على صلاة السنن الرواتب ومطلق النافلة فتجد في صلاة الفريضة كثرة في صفوف المصلين ، أما في صلاة التراويح فلا تجد إلا صفاً أو بعض صف [3] .

---

١ – البقرة الآية ٢٨٦ .

٢ – المزمل الآية ٦.

٣ – ومثل ذلك إذا عقدت مقارنة بين إخراج فريضة زكاة المال ونوافل الصدقات ، فتجد أن كثير من المكلفين يخرجون زكاة أموالهم التي تبلغ الآلاف بطيب نفس وبيسر وسهوله ، ويريد أن يدفعها بسرعة لأي أحد ، وربما أعطاها لأناس قبل أن يتأكد من استحقاقهم للزكاة ، أما في نوافل الصدقات فإذا جاء المكلف محتاجاً شحت نفسه وحسب لهذا السائل أكثر من حساب ، لعل هذا السائل من أهل اليسار ، ولديه بنايات وعمارات ، أو لعله مخادع محتال ، ثم بعد طول حساب ، فإن طابت =

ولعلي أكتفي بذكر فضل المحافظة على سنة الظهر القبلية والبعدية خشية الإطالة والمحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وركعتان بعدها من السُنن الرَّواتب ، والسُنن الرَّواتب هي التي تصلى قبل الفريضة أو بعدها بشكل دائم ومستمر ، وهي على الصحيح اثنتا عشرة ركعة : ركعتان قبل الفجر وهي آكدها ، وأربع قبل الظُّهر ، وركعتان بعدها ، وركعتان بعد المغرب ، وركعتان بعد العِشاء .

ومن حافظ على السنن الرواتب بنى الله له بيتاً في الجنة ، فعن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن عنبسة بن أبي سفيان عن أخته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة أو إلا بُني له بيت في الجنة) قالت أم حبيبة : فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عنبسة: ما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة . وقال عمرو بن أوس : ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة . وقال النعمان بن سالم : ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس[1] .

= نفسه بشيء ، أخرج دريهمات ووضعها في كف السائل ممتناً عليه أن طابت نفسه بمثل هذا النقود !!!.

١ - رواه مسلم ج١٦١/٢ رقم ١٧٢٧ ، ١٧٢٩ باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهنّ وبيان عددهنّ .

فانظر إلى حرص رواة الحديث راوٍ عن راوٍ على العمل بهذه السنن الرواتب .

وفائدة السنن الرواتب : تجبر النقص وتُرقِّعُ الخَللَ الذي يحصُلُ في الصَّلوات المفروضة ، فحاجة العبد إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ، وحاجته إلى النوافل لتكميل السنن الرواتب ، ويكمل النوافل حُسن الخُلق ، بل ذهب حُسن الخُلق بالخير كله ، يقول نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار)[1] . والله تعالى أعلم ، اللهم نسألك حُسن العمل وحُسن الخُلق وحُسن الختام .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : لما نزل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته يديم أربعاً قبل الظهر ، فقلت : يا رسول الله ، إني رأيتك تديم أربعاً قبل الظهر ، فقال : (إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، فلا يغلق منها باب حتى يصلى الظهر ، فأحب أن يرفع لي في تلك الساعة خير)[2] .

---

١ - رواه أحمد في المسند ج٥٣/٤٤١ رقم ٢٥٣٣٢ ، والبخاري في الأدب المفرد ج١/١٢٥ رقم ٢١٧. والحاكم في المستدرك ج١/١٩٥ رقم ١٨٦ وقال : حديث على شرط الشيخين . والبيهقي في شعب الإيمان ج١٧/٢٩ رقم ٧٧٦٨ . وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ج٢/٢٩٤ رقم ٧٩٥.

٢ - رواه الطبراني في الأوسط ج٦/٢٣١ رقم ٢٧٧٥. قلت : وهذه ساعة من ساعات الإجابة التي تفتح فيها أبواب السماء ، وهي من بداية زوال الشمس مباشرة ، ولما التقى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالتتار كان يقول للقائد : انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح ، ويكون الوقت أرجى لقبول الدعاء ساعتها ، ويدعوا المسلمون على المنابر. فهذا الوقت من أرجى الأوقات إجابة للدعاء. انظر شرح زاد المستقنع للشنقيطي ج٣/٢٦٤ .

وتصلى سنة الظهر بسلامين ركعتين ركعتين مثنى مثنى ، وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صلاة الليل والنهار مثنى مثنى)[1] .

وتجوز صلاتها أربع ركعات ليس بينهنّ فصل بتسليم ، وذلك لحديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن أربع ركعات قبل صلاة الظهر ليس بينهنّ فصل بتسليم ، حين تميل الشمس ؟ فقال : (إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح)[2] .

ويصح قضاء السنة القبلية بعد الفرض ، فعن عائشة رضي الله عنها : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا لم يصل أربعاً قبل الظهر صلاهن بعده)[3].

فانظر إلى حرص النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة أربع ركعات قبل الظهر فإذا لم يصليها مرةً ، صلاهنّ بعده .

وإذا فاتت المكلف سنة الظهر القبلية فإنها تقضى بعد صلاة الفرض ما دام الوقت باقياً ، فإذا خرج الوقت ، ودخل وقت العصر فلا قضاء للسنة القبيلة .

---

١ – رواه الترمذي ج٢/٤٩١ رقم ٥٩٧ ، والنسائي ج١/١٧٩ رقم ٤٧٢ ، وابن حبان ج٦/٢٤١ رقم ٢٤٩٤ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح . وابن خزيمة ج٢/٢١٤ رقم ١٢١٠. ومالك في الموطأ ج٢/١٦٣ رقم ٣٩٠.

٢ – رواه الطبراني في الأوسط ج١٠/١١٩رقم ٤٥٦٥.

٣ – رواه الترمذي ج٢/٢٩١ رقم ٤٢٦ وقال : حديث حسن غريب . والبغوي في شرح السنة ج٢/١٢٢ . وابن الجعد في مسنده ج٥/٢٠٩.

وهنا مسألة : هل تقضى سنة الظهر القبلية بعد صلاة الفرض مباشرة أم بعد أداء سنة الظهر البعدية ؟.

والجواب : أن سُنَّة الظهر البعدية تصلى أولاً ؛ لأن السُنَّة فيها أن تكون موالية للفرض فتصلى في محلها ، أما السنة القبلية فقد فات محلها ، فإنها تقضى بعد السنة البعدية ، والله أعلم .

أما المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها جاء فيها فضل عظيم ، فعن أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها **حرمه الله على النار**)[1].

وانظر إلى حرص السلف الصالح على هذه الأربع القبلية والبعدية ، فعَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَزِعَ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا يُجْزِعُكَ ؟ ألم تكن عَلَى سَمْتٍ من الإسْلامِ حسنٍ ؟ قال : ومالي لا أجزعُ ، ولستُ أدري على ما أَقْدمُ عليهِ ، مع أَنَّ أَرْجَى عملي عندِي حديثٌ حَدَّثَتْنِي بِهِ أُمُّ حبِيبَةَ ، أَنَّهَا سَمِعْتِ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ

---

١ - رواه أحمد ج٦/٣٢٦ رقم ٢٦٨١٥ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح . والترمذي ج٢/٢٩٢ رقم ٤٢٨ ، وقال : حديث صحيح غريب . والنسائي ج٣/٢٦٥ رقم ١٨١٦، والحاكم في المستدرك ج٣/١٩٥ رقم ١١٢٢، والطبراني في الكبير ج١٧/٧٢ رقم١٨٩٧١.

وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا ، حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ . فَو اللهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ يَوْمِ سَمِعْتُهُنَّ إلى يومي هذا [1] .

قلت : وحديث أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها متضمن لمعنى حديث الباب الذي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه ، فالمؤمن الذي يحافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها ، هو بلا شك يُحافظُ على تكبيرة الإحرام ، وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (**حرمه الله على النار**) مع قوله صلى الله عليه وسلم : (**براءة من النار**) تجد أن معناهما ومؤداهما واحد ، والله أعلم .

السور الرابع : أذكار الصلاة :

وأكتفي منها بذكر فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة خشية الإطالة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الفقراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلا والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون . قال : (ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به **أدركتم من سبقكم** ، **ولم يدرككم أحد بعدكم** ، **وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله** ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين) فاختلفنا بيننا فقال بعضنا : نسبح ثلاثاً

---

١ – شرح السن للبغوي ج١٢٣/٢.

وثلاثين ، ونحمد ثلاثاً وثلاثين ، ونكبر أربعا وثلاثين . فرجعت إليه فقال : (تقول : سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهنّ كلهنّ ثلاثاً وثلاثين)[1] .

فيامن فاتتك تكبيرة الإحرام يوماً لاحظ قوله صلى الله عليه وسلم : (أدركتم من سبقكم ، ولم يدرككم أحد بعدكم ، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه) فإذا أردت أن تدرك من سبقك إلى تكبيرة الإحرام ، فلا تستعجل الانصراف ، واجلس بعد الصلاة ، وقل : سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهنّ كلهنّ ثلاثاً وثلاثين ، وقل تمام المئة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

فإن فاز أهل الدثور من الأموال بتكبيرة الإحرام ، فاظفر أنت بالتسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلاة ، ولا تستعجل الانصراف ، واصبر نفسك مع الذاكرين الله كثيراً ، فلعلك تدرك من سبقك .

قلت : سبحان الله إن الناظر في أحوال الناس يجد أن غالب من يستعجل الانصراف بعد الصلاة هم أهل الدثور من الأموال ، ويبقى في المسجد غالباً الفقراء يسبحون الله ويحمدونه ويكبرونه، ويدعون ربهم بالغداة والعشي، فاصبر نفسك معهم .

---

١ - رواه البخاري ج٢٨٩/١ رقم ٨٠٧ باب الذكر بعد الصلاة . قلت : وفيه بيان طريقة وكيفية التسبيح بعد الصلاة بالجمع لا بالإفراد أي تقول : سبحان الله والحمد لله والله أكبر مجموعة ثلاثاً وثلاثين مرة .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن العبد إذا جلس في مصلاه **بعد الصلاة** صلت عليه الملائكة وصلاتهم عليه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ، وان جلس ينتظر الصلاة صلت عليه الملائكة وصلاتهم عليه : اللهم اغفر له اللهم ارحمه)[1] .

فيا من فاتتك تكبيرة الإحرام يوماً بذنب أو بذنوب اقترفتها في ذلك اليوم ، اجلس في مصلاك ، وقل أذكار الصلاة وأنت جالس في مصلاك ، وإياك أن تبادر بالخروج من المسجد ، وتمني نفسك بأنك ستقولها وأنت ماشي ، ثم يأتيك زيد فيسلم عليك ، ويأتيك عمرو ويسألك سؤالاً ، ويأتيك ثالث وتنشغل به عن أذكار الصلاة ، ثم تكون مضيعاً لها ، ولاحظ واستشعر دعاء الملائكة لك : (اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه) وأنت إذا رأيت رجلاً تحسبُه من الصالحين سارعت إليه لتطلب منه الدعاء ، فهاهي الملائكة التي لم تعصي الله قط تصلي عليك وتدعو لك ما دمت في مصلاك : (اللهم اغفر له اللهم ارحمه) فمالي أراك بدعائها زاهداً !!.

---

١ – رواه أحمد في المسند ج١/١٤٤ رقم ١٢١٨ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره . وقال الهيثمي : رواه أحمد في المسند وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ، ولكنه اختلط في آخر عمره . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ج٢/٤٧ رقم ٢١٢١ .

قال ابن بطال رحمه الله : من كان كثير الذنوب وأراد أن يحطها عنه بغير تعب فليغنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة ، ليتكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له ، فهو مرجو إجابته لقوله تعالى : (وَلاَ يَشفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ اِرتَضَى)[1] .

السور الخامس : الإكثار من ذكر الله تعالى :

الإكثار من ذكر الله تعالى سور منيع ، فذكر الله تعالى كثيراً يبعدك عن الغفلة والمعاصي والآثام والنفاق ، ويبعد عنك الشيطان - نعوذ بالله منه - ويجعل إدراك تكبيرة الإحرام منك على بال ، لتتأهب للصلاة قبل النداء .

والإكثار من ذكر الله يجعلك إذا سمعت النداء (الله أكبر) أن تقول : لبيك يا رب لبيك يا الله ، فتدع العمل الذي بين يديك ، فذكرك يا الله أكبر من كل شيء .

والإكثار من ذكر الله يجعلك تنفر من مواطن الغفلة والفتنة كالقنوات والفضائيات والنت ، فلا تطيل السهر إلا في طاعة الله ، خشية أن تقع فيما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جدب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم السمر بعد العشاء[2] .

---

١ - الأنبياء الآية ٢٨ . وانظر الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي ج١/٨٦ .

٢ - رواه الإمام أحمد في المسند ج١/٣٨٨ رقم ٣٦٨٦ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن . وابن ماجة ج١/٢٣٠ رقم ٧٠٣ . وقال الألباني : صحيح . والبزار في مسنده ج٥/١٤٨ رقم ١٧٤١. ومعنى جدب لنا : أي زجرنا ، أو ذمه وعابه لنا .

فمن أسباب التأخر عن تكبيرة الإحرام وصلاة الجماعة ، هو غزو الفضائيات لكثير من بيوت الخاصة والعامة ، فتراهم قبالة جهاز الراني (التلفاز) يشاهدون ما يعرض فيه من قناة إلى قناة إلى منتصف الليل أو بعده ، ثم تبعتها الشبكات المعلوماتية (النت) ثم تبعتها الأجهزة الذكية[1] التي ينامون عليها ويستيقظون عليها، ومن كان هذا حاله فأنّى له الاستيقاظ لصلاة الفجر ؟ ومن استيقظ فأنّى له إدراك تكبيرة الإحرام؟ ومن أدرك تكبيرة الإحرام ، فأنّى له المحافظة والمواظبة عليها ؟.

والإكثار من ذكر الله يجعلك إذا أردت النوم وخشيت ألا تستيقظ مرة ، أن تلجأ مولاك بالدعاء بصدق وتقول : يا رب صلاتي . فيحفظك الله ويحفظ عليك صلاتك وتكبيرة الإحرام من الضياع ، بمحض فضله وجوده وكرمه وعظيم منته عليك .

والإكثار من ذكر الله أفضل الإيمان ، وكثرة ذكر الله أمان من النفاق ؛ لأن المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً ، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإيمان أفضل؟ قال : (أن تعمل لسانك في ذكر الله)[2]

---

١ – أول ما ظهر للناس منذ عقود جهاز الراني (التلفاز) ثم تبعه وظهر قبل عقدين القنوات والفضائيات ، ثم تبعها في زماننا هذا الثالوث الأخطر الشبكات المعلوماتية والأجهزة الذكية فصارت في جيوب الناس أينما كانوا ، وترى كثيراً منهم يتصفحونها حتى في المساجد !! فمن خلا بيته وجيبه منها ، فنحسبه من الصالحين ، وصدق القائل :

يا زماناً بكيت منه فلما مضى بكيت عليه .

والله وحده المستعان .

٢ – رواه البيهقي في شعب الإيمان ج١/٤١٥ رقم ٥٧٨ ، باب فضل إدامة ذكر الله عز وجل . وانظر ضعيف الجامع للألباني ج١/٧٩ رقم ١٠٠١.

فذكر الله كثيراً هو أفضل الإيمان ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أكثر ذكر الله ، فقد برئ من النفاق)[1].

قال ابن رجب الحنبلي بعد ذكره لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : ويشهد لهذا المعنى أن الله وصف المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً ، فمن أكثر ذكر الله ، فقد باينهم في أوصافهم ولهذا ختمت سورة المنافقين بالأمر بذكر الله ، وأن لا يلهي المؤمن عن ذلك مال ولا ولد ، وإن من ألهاه ذلك عن ذكر الله فهو من الخاسرين[2].

وذكر الله تعالى خير الأعمال وأرقاها وأرفعها في الدرجات ، بل هو خير من إنفاق الذهب والفضة ، وخير من الجهاد في سبيل الله تعالى ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟) قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟

---

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان ج٢/١٤٤ رقم ٦٠٢، والطبراني في الصغير ج٣/١١١ رقم ٩٧١ ، وفي الأوسط ج١٥/٢٠١ رقم ٧١٢٣ ، وفي الكبير ج١٩/٣٦١ رقم ٨٧٨ وقال : لم يرو هذا الحديث عن حماد بن سلمة إلا مؤمل بن إسماعيل ، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم ٥١٢٠ .

٢ - انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ج١/٤٤٥.

قال : (ذكر الله عز وجل) وقال معاذ بن جبل : (ما عمل آدمي من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل)[1] .

قال ابن حجر رحمه الله : إن المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذكر الكامل وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى وإن الذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلاً من غير استحضار لذلك وان أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد ، فمن اتفق له أنه جمع ذلك ، كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره ، وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلاً ، فهو الذي بلغ الغاية القصوى والعلم عند الله تعالى . وأجاب القاضي أبو بكر بن العربي : بأنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه ، فمن لم يذكر الله بقلبه عند صدقته أو صيامه مثلا فليس عمله كاملا فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية[2] .

قلت : إنما تبوأ ذكر الله تعالى هذه المنزلة العالية الرفيعة ؛ لأنه لا يمكن لأحد أن ينفق الذهب والفضة يريد بهما وجه الله تعالى إلا إذا كان ذاكراً لله معظماً له سبحانه ، ولا يمكن لأحد أن يثبت في الجهاد في سبيل الله إلا إذا كان ذاكراً لله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا

---

١ - رواه الحاكم في المستدرك ج٣٧٢/٤ رقم ١٧٧٩ وقال : حديث صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان ج٣٩٤/١ رقم ٥١٨ .

٢ - انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٢١٠/١١.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] فكم من ملاق للعدو لم يثبت عند اللقاء ، وكم من ملاق للعدو يقاتل حمية أو ليقال عنه أنه شجاع ، ولا يمكن لأحد أن يثبت ويحافظ على تكبيرة الإحرام خالصة لله تعالى إلا إذا كان ذاكراً لله جل جلاله ، فكم من مصل حافظ على تكبيرة الإحرام أكثر عمره - فيما يبدو للناس - ثم نكص على عقبيه آخر حياته ولم يفلح ، وهكذا كل عمل صالح إلا وذكر الله المقترن بالتعظيم والإجلال والخشية هو شرط في صلاحه ، وذكر الله تعالى باللسان الذي يواطئ الجنان ويذكرك بإخلاص العمل لله وحده هو شرط الأعمال جميعاً ، والله أعلم .

السور السادس : الدعاء بأن يجعلك الله من أهل تكبيرة الإحرام ، وأن يكتب لك براءة من النفاق وبراءة من النار :

الدعاء عبادة من آجل العبادات وأفضلها ، يقول نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (أفضل العبادة الدعاء)[2] والإنطراح بين يديه سبحانه ساجداً داعياً قربة من أسمى القربات ، والدعاء سور منيع ، يمنع نفس المرء الإمارة بالسوء وحبها للدنيا ، من التغلب عليه ، فالعبد المؤمن يتغلب على نفسه عندما يشكوها إلى بارئها ويستعين به سبحانه على تزكيتها ، فهو خير معين ، والدعاء سور منيع ، يمنع نفس

---

١ - الأنفال الآية ٤٥.

٢ - رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما ج ٣٥٣/٤ رقم ١٧٦٠ ، وابن عدي عن أبي هريرة رضي الله عنه ج٨٨/٥ وانظر السلسلة الصحيحة ج١٥٣/٤ رقم ١٥٧٩ ، وصحيح الجامع للألباني رقم ١١٢٢.

المرء وحبها للدعة والكسل من التغلب عليه ، فالعبد المؤمن يتغلب على نفسه عندما يشكوها إلى من خلقها وسواها ، ويستعين به سبحانه على تزكيتها ، فهو خير من زكاها ، والدعاء أن تتعبد الله بالإعلان عن رغبتك الصادقة بأنك تحب تكبيرة الإحرام وأنك تحب الصلاة والوقوف بين يديه سبحانه بحضور وخشوع ، لكن دفء الفراش يمنعك من القيام للصلاة، والدنيا ومغرياتها تشدك نحوها، فتأخرك عن تكبيرة الإحرام..

فالذي يدعو ربه بصدق ، وهو يشكو سوء نفسه وصلاته وتأخره عن تكبيرة الإحرام فيقول مثلاً : (يا رب إني عبد سوء ، لا أذهب إلى الصلاة قبل النداء ، بل إنني يا رب أسمع النداء ، وأتأخر في الإجابة ، إليك يا رب أشكو نفسي ، وتأخري عن تكبيرة الإحرام ، إلهي أحب أن أكون مدركاً لتكبيرة الإحرام ، إلا أن الدنيا تشدني إليها ، والهوى يجذبني ، ونفسي ضعيفة ، وأخوض فيما لا يعنيني ، وأقع في الذنوب والمعاصي والنفاق ، ويحصل مني التأخير عن تكبيرة الإحرام ، والتأخير عن الركعة الأولى ، يا رب يا مالكاً نفسي وقلبي أشكو إليك ضعفي ، يا رب آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، يا رب أصلح حالي ، وأحسن عملي ، يا رب لا تجعلني عبداً لأحد سواك ، يا رب لا تجعلني عبد دنيا ، يا رب لا تجعلني عبد شهوة ، لا تجعلني عبد شهرة ، واجعلني يا رب عبداً قناً لك ، يا رب يا أكرم الأكرمين ، يا من عطاؤه بلا حدود ، وبلا قيود ، يا عظيم المنّ ، يا واسع الإحسان ، امنن عليّ بطهارة قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب ، وعيني من الخيانة حتى لا تفوتني تكبيرة الإحرام ما أحييتني ، يا رب يا الله اجعلني من أهلها ، واكتب

لي براءتين ، براءة من النفاق ، وبراءة من النار ، بمحض فضلك وجودك وكرمك وعظيم منتك عليّ يا حيي يا كريم ، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) .

فإذا أعلن المؤمن عن هذه الرغبة بصدق ، وأعلن عن ضعفه وعجزه وانكساره ، وطلب من مولاه العون والتزكية لنفسه ، فالله سبحانه خير معين ، وخير من زكى نفس عبده الصادق ، فيصلح حاله ، ويصير من أهل تكبيرة الإحرام بفضل الله وجوده وكرمه وعظيم منته عليه ، ومن صدق الله صدقه ، ومن وفى وفي له ، لكن هذا السور المنيع لا يقوم إلا على أساس متين وأحجار ولبنات صلبة قوية ، وأذكر بعضاً منها :

والأساس الذي يقوم عليه سور الدعاء هو المطعم الحلال :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس إن الله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله عز وجل أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر

الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأنَّى يستجاب له)[1] .

وإذا ارتبت في أمر أو اشتبه عليك فدعه ، فعن أبي الحوارء السعدي قال : قلت للحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ : ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة ، وإن الكذب ريبة)[2].

فلينظر المسلم ـ الحريص على إجابة دعائه ـ إلى طعامه من أين اكتسبه ؟ فإذا كان بعيداً عن الريبة ومن حلال طيب فليحمد الله حمداً كثيراً ، وليمد يديه إلى السماء وليدعو ربه : يا رب يا الله يا ذا الجلال والإكرام اجعلني من أهل تكبيرة الإحرام .

وإحدى لبناته : الصدق في الدعاء .

الصدق مع الله فريضة الله الدائمة ، والصدق في رجاء الله وسؤاله ، مظنة الإجابة من السميع المجيب القريب ، فمن يصدق الله تعالى في الإعلان عن رغبته الصادقة ـ كما أسلفت أنفاً ـ بأنه يحب أن يكون من أهل تكبيرة الإحرام ، وينأى بنفسه بصدق عما يؤخره عنها ، وكان دعاؤه وهمه أن يكون مدركاً لتكبيرة الإحرام مواظباً عليها ، فإني أرجو الله أن يصلح له عمله ، وأن يوفقه ليكون من أهل تكبيرة الإحرام

---

١ – رواه مسلم ج٣/٨٥ رقم ٢٣٩٣ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها .

٢ – رواه الترمذي ج٤/٦٦٨ رقم ٢٥١٨، وقال : حديث حسن صحيح .

بإذن الله الكريم قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير القول السديد : أي مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم ، أي يوفقهم للأعمال الصالحة ، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها . ثم أورد رحمه الله أقوالاً تفسر معنى القول السديد ، ومن ذلك الصدق [2].

فالموفق الذي يصدق الله ، ويسأله الإعانة والتوفيق للمحافظة على تكبيرة الإحرام ويبرأ من حوله وقوته وتدبيره ، ويلجأ إلى حول الله وقوته وتدبيره ، وحقاً إن من يفعل هذا بصدق يجد الأعاجيب ، بل إنه سيلحظ - إن شاء الله - توفيق الله له واضحاً، فهو كلما سولت له نفسه التأخير، أو شده دفء الفراش إليه، وأن الوقت ما زال باقياً... فإنه يجأر إلى ربه يشكو إليه نفسه ، وأنها مأوى كل سوء ، ويضرع إليه سبحانه أن يزكي له نفسه وأن يكون من أهل تكبيرة الإحرام ، وكلما شدته الدنيا نحوها ، استعان بالله وحده ألا يكون عبداً لها ، واستعان بالله وحده أن يخرج حب الدنيا من قلبه ، وأن يكون مدركاً لتكبيرة الإحرام ، فإن إدراكها والمواظبة عليها علامة من علامات خروج الدنيا من قلبه ، والله أعلم .

---

١ - الأحزاب الآية ٧١،٧٠.

٢ - تفسير ابن كثير ج/٦٨٨.

فالعبد الصادق مع الله ما إن يفعل ذلك مخلصاً صادقاً [1] ، حتى تستقيم له نفسه في باب تكبيرة الإحرام ، ومثل ذلك في سائر الأبواب ، بإذن الله الكريم الوهاب ، وحقاً من صدق الله صدقه ، ومن وفى وفي له ، والله أعلم .

وثاني لبناته : حسن الظن بالله وعدم اليأس بأن تكون من أهل تكبيرة الإحرام .

حسن الظن بالله فريضة الله الدائمة ، فلا يجوز أن تسيء الظن بالله تعالى لحظة واحدة ولا أقل من ذلك ، وحسن الظن بالله أن تظن به سبحانه أنه سيجيب سؤالك ، وأنه سيزكي نفسك ، وأنه سيجعلك من أهل تكبيرة الإحرام ، بمحض فضله وجوده وكرمه وعظيم منته عليك .

عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول : (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل) [2] .

---

١ - لا يخفى أن هناك فرق بين الإخلاص والصدق ، فالإخلاص توحيد المطلوب أو المسؤول ، والصدق توحيد الطلب أو السؤال ... .

٢ - رواه مسلم ج١٦٥/٨ رقم ٧٤١٢ باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت . قلت : ومعنى الملازمة هنا كالملازمة في حديث فضل الإقامة في طيبة الطيبة : (من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليمت فإنه يمت شهيداً ويشفع له) رواه الطبراني في الكبير ج٣٣١/٢٤ رقم ٨٢٤ . ومعناه : أن يلازم العبد سكنى المدينة طيلة حياته حتى إذا فاجأه الموت مات وهو في المدينة ، والله أعلم .

ومعناه : أن يلازم العبد حسن ظنه بربه طيلة حياته حتى إذا فاجأه الموت في أي لحظة مات وهو يحسن الظن بالله جل وعلا .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يقول : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني)[1].

وفي رواية : (أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيرا فله وإن ظن شرا فله)[2].

قال ابن حجر رحمه الله : (أنا عند ظن عبدي بي) أجازيه بحسب ظنه بي فإن رجا رحمتي وظن أني أعفو عنه وأغفر له فله ذلك ؛ لأنه لا يرجوه إلا مؤمن علم أن له رباً يجازي . وإن يئس من رحمتي وظن أني أعاقبه وأعذبه فعليه ذلك ؛ لأنه لا ييأس إلا كافر .

فمهما دعوت الله الكريم بأن يجعلك من أهل تكبيرة الإحرام ، وجاهدت نفسك وتعثرت وتأخرت عن إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها ، ثم دعوت الكريم وجاهدت وتعثرت وتأخرت ولم تستقيم نفسك على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها ، فحسن ظنك بالله المحسن الكريم ذو الفضل العظيم بأنك ستكون من أهلها إن شاء الله .

---

١ - رواه البخاري ج٦/٢٧٢٥ رقم ٧٠٦٦ باب قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) . ومسلم ج٨/٦٦ رقم ٧٠٠٥ باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى .

٢ - رواه ابن حبان ج٢/٤٠٥ رقم ٦٣٩ باب حسن الظن بالله تعالى. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم .

وثالثها : الإلحاح في الدعاء .

والإلحاح في الدعاء يظهر الفقر والفاقة وشدة الحاجة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعا دعا ثلاثاً ، وإذا سأل سأل ثلاثاً ، فعن عبد الله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ثلاثاً فقال : (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات[1].

فإذا سألت الله الكريم فأظهر فقرك وشدة حاجتك أن يجعلك من أهل تكبيرة الإحرام ، وأعد سؤالك وكرر رجاءك وألح في الدعاء ، فمن أدام قرع الباب يوشك أن يفتح له .

ورابعها : أن يتحرى العبد المظان التي يستجاب فيها الدعاء .

وتحري العبد مظان الإجابة علامة صدقه في الدعاء ، والمظان التي يستجاب فيها الدعاء لا تخلو من أحوال يتلبسها العبد أو أزمنة وأوقات ينتظرها أو أمكنة مباركة يسعى للوصول إليها ليدعو الله فيها .

ولعلي أكتفي بسرد بعض المظان التي يستجاب فيها الدعاء خشية الإطالة :

فمن الأحوال : حال كون العبد ساجداً ، وحال كونه صائماً أو مسافراً أو حاجاً أو معتمراً أو مضطراً مقبلاً إلى الله تعالى ، وحال كونه أباً يدعو لولده أو ابناً باراً يدعو لوالديه أو أخاً يدعو لأخيه بظهر الغيب ، فجميل جداً أن يفطن الآباء بالدعاء لأبنائهم بأن يكونوا من أهل تكبيرة الإحرام ، والأجمل منه إذا رأى الابن البار والده

---

١ – رواه البخاري ج٩٤/١ رقم ٢٣٧ باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته . ومسلم ج١٧٩/٥رقم ٤٧٥٠ باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين .

مقصراً في إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها أن يجتهد له بالدعاء بأن يكون من أهلها ، والأجمل منهما دعاء الأخ لأخيه في ظهر الغيب بأن يكون من أهل تكبيرة الإحرام ، فهو يدعو لأخيه بلسانه الذي عصى الله به ، والملائكة ـ التي لم تعصي الله قط ـ تدعو له بالمثل ، ثم حال كونه يدعو لأخيه المريض ليمشي إلى الصلاة ، أو حال شربه لماء زمزم بنية صادقة ومنها : المحافظة على تكبيرة الإحرام ، أو حال كونه يدعو بأدعية مخصوصة وردت في السنة المطهرة منها : حال دعائه بقوله : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ومنها : حال دعائه بقوله : (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم) ومنها : حال دعائه بقوله : (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ... وما ذكرته من هذه الأحوال فقد دلت عليه السنة المطهرة .

ومن الأزمنة والأوقات التي يستجاب فيها الدعاء ما يلي : الدعاء بعد زوال الشمس قبل الظهر ، والدعاء وقت النداء للصلوات المكتوبة ، والدعاء بين الآذان والإقامة ، والدعاء دبر الصلوات المفروضة ، والدعاء في جوف الليل ، ولا سيما الثلث الأخير منه ، والدعاء يوم الجمعة ، ولا سيما الساعة الأخيرة من بعد العصر ، والدعاء يوم الأربعاء بين الصلاتين الظهر والعصر ، والدعاء ليلة الوتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان ، ولا سيما ليلة القدر ، والدعاء يوم عرفة ، والدعاء وقت نزول الغيث ... وما ذكرته من هذه الأزمنة فقد دلت عليه السنة المطهرة .

ومن الأمكنة المباركة التي يستجاب فيها الدعاء ما يلي :

لقد ذكر الفقهاء خمسة عشر موضعاً للأماكن المباركة في مكة المكرمة والتي يستجاب فيها الدعاء ، وقد نظمها بعضهم في نظم مختصر ، وزاد عليها آخرون أماكن أخرى منها : الدعاء عند رؤية الكعبة ، والدعاء عند الملتزم - وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود - والدعاء في الكعبة أو في حجر إسماعيل ، والدعاء في الطواف بالكعبة المشرفة ، والدعاء على الصفا والمروة وبينهما ، والدعاء عند المشعر الحرام ، والدعاء عند الجمرات ... .

قلت : لا يوجد دليلاً - فيما أعلم - على أن هذه الأماكن يستجاب فيها الدعاء سوى ما رواه الطبراني في معجمه الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن : عند التقاء الصفوف في سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلاة ، وعند رؤية الكعبة) [1]. وهذا الحديث كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو مجمع على ضعفه [2].

ولكننا ندعو الله تعالى في الأماكن التي دعا فيها نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم إتباعاً له ، سواء علمنا أن الدعاء فيها مستجاب أم غير مستجاب .

---

١ - رواه الطبراني في المعجم الكبير ج١٨٦/٧ رقم ٧٦١٥ .

٢ - انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ج١٩/١١ رقم ١٧٢٥٣. وقال الألباني : ضعيف جداً . انظر ضعيف الجامع رقم ٢٤٦٥.

السور السابع : ترك صحبة الغافلين وملازمة الصادقين والاستفادة من أقوالهم وأحوالهم :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1] . أي كونوا مع من صدق في قوله وعمله ، لتكونوا مثلهم فكل قرين بالمقارن يقتدي ، والصاحب ساحب إما إلى جنة أو إلى نار ، وما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ، والصادق لا تراه إلا في فريضة يؤديها أو فضيلة يعمل فيها .

وقد سبقت آثار السلف الصالح ، كقول الإمام إبراهيم التيمي رحمه الله : إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه[2] . أي اغسل يدك من صحبته ؛ لأنه سيجرك إلى التهاون في تكبيرة الإحرام . ومثله قول الإمام وكيع رحمه الله : من لم يدرك التكبيرة الأولى ، فلا ترجو خيره [3] . أي اترك صحبته ، فلا خير فيه . فالحريص على تكبيرة الإحرام ، سيجرك معه إلى المواظبة عليها ، والذي أضاع تكبيرة الإحرام ، سيجرك إلى تضيعها .

---

١ - التوبة الآية ١١٩.

٢ - انظر صفة الصفوة ج٣/٨٨ ، وحلية الأولياء ج٤/٢١٥ وسير أعلام النبلاء ج٥/٦٢ .

٣ - انظر شعب الإيمان ج٣/٧٤ رقم٢٩١١ ، والترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ج١/١٢٦ رقم ١١٠.

السور الثامن : احفظ ألفاظك ولحظاتك وسمعك ، ولا تخض فيما لا يعنيك ، ولا تنظر إلى ما لا يعنيك ، ولا تسمع مالا يعنيك ، ودع عنك فضول الكلام والسمع والنظر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم)[1] . فمن أراد أن يكتب له براءة من النفاق فلينأى بنفسه عن الخوض فيما لا يعنيه ولا يكثر الكلام في المباحات ومن كان هذا حاله رجونا له الاستقامة على تكبيرة الإحرام ، فلا يستقيم على تكبيرة الإحرام عبد ثرثار ، ومن أراد أن يكتب له براءة من النار ، فليكف لسانه حتى لا يكب على وجهه في النار .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه لبى على الصفا ، ثم قال : يا لسان قل خيرا تغنم أو اصمت تسلم من قبل أن تندم ، قالوا : يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو سمعته قال : لا ، بل ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه)[2] .

---

١ - رواه البخاري ج٥/٢٣٧٧ رقم ٦١١٣ ، باب حفظ اللسان .

٢ - رواه البيهقي في شعب الإيمان ج١٠/٤٣٥ رقم ٤٧٢٩ ، والطبراني في الكبير ج٩/٤٥ رقم ١٠٢٩٤، وانظر صحيح الجامع للألباني رقم ١٢٠١ ، والسلسلة الصحيحة ج٢/٣٣ رقم ٥٣٤.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - راوي الحديث - قوله : والذي لا إله غيره ما شيء أحق بطول السجن من اللسان[1] .

ويقول رضي الله عنه : إياكم وفضول الكلام بحسب الرجل أن يبلغ حاجته[2] .

فمن أراد إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها فليكف لسانه عن فضول الكلام ، احتراساً من الوقوع في الخطايا ، فإن الخطيئة تمنع صاحبها من إدراك تكبيرة الإحرام بل من الركعة الأولى ، وربما منعته من إدراك صلاة الجماعة ، فحفظ اللسان والابتعاد عن الخطايا سبب للبعد عن النار ، وسبب لإدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قوله : (ذر ما لست منه في شيء ، ولا تنطق فيما لا يعنيك ، واخزن لسانك كما تخزن دراهمك)[4] .

فمن يعنيه حسن إسلامه فليترك مالا يعنيه في سمعه وبصره ولسانه ، فلا يخض فيما لا يعنيه ، وليصن سمعه عما لا يعنيه ، وليحفظ بصره عما لا يعنيه ، فإن أكثر

---

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان ج٤/٢٥٩ رقم ٥٠٠٣ .

٢ - رواه البيهقي في شعب الإيمان ج٤/٢٥٧ رقم ٤٩٩٨ .

٣ - رواه الترمذي ج٤/٥٥٨ رقم ٢٣١٧ ، وقال : حديث غريب . وابن ماجة ج٢/١٣١٥ رقم ٣٩٧٦.

٤ - رواه البيهقي في شعب الإيمان ج٤/٢٦٠ رقم ٥٠٠٧ .

المعاصي والخطايا إنما تنشأ من فضول الكلام والسمع والنظر ، والابتعاد عن هذا فيه حسن الإسلام والمحافظة على تكبيرة الإحرام ، والله تعالى أعلم .

اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

المبحث الثاني :

قواعد وأصول في باب إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان للقاعدة الأولى وتأصيلها :

{ المتثاقل عن الصلاة مع الإمام ، والغافل الذي يواقع المعاصي والآثام ، ومن يسيء القول في الصحابة الكرام ، محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام ، وفيه خصلة من النفاق } .

المطلب الثاني : بيان للقاعدة الثانية وتأصيلها :

{ من أدرك تكبيرة الإحرام وحسُنت صلاته حسُن سائر عمله ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع } .

المطلب الأول : بيان القاعدة الأولى وتأصيلها :

القاعدة الأولى : { المتثاقل عن الصلاة مع الإمام ، والغافل الذي يواقع المعاصي والآثام ، ومن يسيء القول في الصحابة الكرام ، محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام وفيه خصلة من النفاق } .

وتفصيل ذلك أن نقول :

من يتثاقل عن الصلاة محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام ، وفيه خصلة من النفاق.

ومن يكذب في حديثه محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام ، وفيه خصلة من النفاق .

ومن يخن الأمانة محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام ، وفيه خصلة من النفاق.

ومن يخلف الوعد محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام ، وفيه خصلة من النفاق.

ومن يغدر العهد محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام ، وفيه خصلة من النفاق .

ومن يفجر في خصومته محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام ، وفيه خصلة من النفاق .

ومثله من يقع في سائر المحرمات كالغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء ..... محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام .

ومثله قليل الذكر لله تعالى ، والغافل عن ذكر الله ، والثرثار كثير الكلام محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام .

وإذا كان هؤلاء محرومون لا يحافظون على تكبيرة الإحرام ، فحال من كان خلافهم كالذاكر لله تعالى ذكراً كثيراً ، والذي جاهد نفسه ولم يتثاقل عن الصلاة ، ولم يتصف بخصلة من خصال المنافقين ، ونأى بنفسه عن المحرمات ، وأحسن القول في الصحابة الكرام ، وأولياء الله الصالحين ، وسلم المسلمون من لسانه ويده ، وكف عن الثرثرة والخوض في المباحات ، فحري بهؤلاء السادة الكرام أن يحافظوا على تكبيرة الإحرام ، ونرجو الله لهم البراءة من النفاق ، والبراءة من النار .

تأصيل القاعدة :

الأدلة التي تؤصل هذه القاعدة من الكتاب والسنة المطهرة كثيرة أذكر طرفاً منها:

الدليل الأول : قوله تعالى في وصف المنافقين : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾[1]، وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] فحال المنافق مع الصلاة أنه لا يأتيها ولا يقوم إليها إلا وهو كسلان ، ومن اتصف بهذا الحال ، ولم يتب إلى الله منه ، فهو محروم لا يستقيم على تكبيرة الإحرام .

---

١ – التوبة الآية ٥٤ .

٢ – النساء الآية ١٤٢.

الدليل الثاني : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن للمنافقين علامات يعرفون بها ـ وذكر منها ـ لا يقربون المساجد إلا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُراً ...) [1] .

الهجر : الترك والإعراض والغفلة ، فهم لا يقربون المساجد بل يهجرونها .

والدبر : آخر الشيء ، يقول ابن قتيبة : دَبُر الصلاة : آخرها ودُبُر البيت وكلّ شيء : مُؤَخّرة . يريد : أنَّهم يتَثاقلون عن الصَّلاة ، فإذا كاد الإمام يفرغ أتوها [2] .

قلت : ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى في وصف المنافقين : ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[4] .

فقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يقربون المساجد إلا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُراً) بيان وتفسير منه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : (﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾[6] .

---

١ – رواه أحمد في المسند ج٢/٢٩٣ رقم ٧٩١٣ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف . والبيهقي في الشعب ج٣/٨٧ رقم ٢٩٦٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج١/١٢٧ وقال : رواه أحمد والبزار وفيه عبد الملك بن قدامة الجمحي ، وثقه يحيى بن معين وغيره ، وضعفه الدارقطني وغيره .

٢ – غريب الحديث لابن قتيبة ج٢/٢٧٢.

٣ – التوبة الآية ٥٤ .

٤ – النساء الآية ١٤٢.

٥ – التوبة الآية ٥٤ .

٦ – النساء الآية ١٤٢.

فالمنافقون إذا قَرِبُوا المساجد وأتوا الصلاة أتوها كسالى متثاقلين ومتأخرين بعد أن تفوتهم ، أو أنهم يأتون في آخر الصلاة قبل السلام ، ومن كان هذا حاله لا يقرب المساجد إلا هجراً ، ولا يأتي الصلاة إلا دبراً ، فأنّى له إدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها .

الدليل الثالث : عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أربع خلال من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر . ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها)[1] وفي رواية : (وإذا أؤتمن خان)[2] .

فهذه الأخلاق السيئة الظاهرة ، التثاقل عن الصلاة ، وخيانة الأمانة ، والكذب في الحديث ، والخلف في الوعد ، والغدر بالعهد ، والفجر في الخصومة ، وغيرها كما دلت عليها أحاديث أخرى إنما جعلت عنواناً ودليلاً على النفاق العملي لمن اتصف بها ، وأن صاحبها فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، وقد أثر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قوله : (ثلاث إذا كنّ في عبد ، فلا تتحرج أن تشهد عليه أنه منافق ، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، ومن كان

---

١ - رواه البخاري ج٣/١١٦٠ رقم ٣٠٠٧ ، ومسلم ج١/٧٨ رقم ٥٨ .

١ - رواه البخاري ج١/٢١ رقم ٣٣ .

إذا حدث صدق ، وإذا وعد أنجز ، وإذا اؤتمن أدى ، فلا تتحرج أن تشهد عليه أنه مؤمن)[1] .

فمن وقع في النفاق العملي أو فيه خصلة منه ... لم يخلص ولم يبرأ ، وإنما فيه خصلة من النفاق حتى يتوب إلى الله ويدعها ، ومن كانت فيه خصلة من النفاق ، فأنّى له المواظبة على إدراك تكبيرة الإحرام ؟ ومثله المتثاقل عن الصلاة ، والغافل الذي يواقع المعاصي والمحرمات ، ولا يحدث لها توبة صادقة ، أنّى له المواظبة على إدراك تكبيرة الإحرام ؟.

الدليل الرابع : حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أكثر ذكر الله ، فقد برئ من النفاق)[2] . ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى في وصف المنافقين : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3] .

---

١ – انظر صفة المنافق للفريابي ج١/٥٠ رقم ١٧. قلت : قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (فلا تتحرج أن تشهد عليه أنه مؤمن) لأن الإيمان أصله الصدق ، صدق في القلب والقول والعمل والصدق فريضة الله الدائمة ، وبصدق الأقوال والأفعال يميز أهل الإيمان من أهل النفاق العملي .

٢ – رواه البيهقي في شعب الإيمان ج٢/١٤٤ رقم ٦٠٢، والطبراني في الصغير ج٣/١١١ رقم ٩٧١ ، وفي الأوسط ج١٥/٢٠١ رقم ٧١٢٣ ، وفي الكبير ج١٩/٣٦١ رقم ٨٧٨ ، وقال : لم يرو هذا الحديث عن حماد بن سلمة إلا مؤمل بن إسماعيل ، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم ٥١٢٠ .

٣ – النساء الآية ١٤٢.

قال ابن رجب الحنبلي بعد ذكره لحديث أبي هريرة رضي الله عنه : ويشهد لهذا المعنى أن الله وصف المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً ، فمن أكثر ذكر الله ، فقد باينهم في أوصافهم ، ولهذا ختمت سورة المنافقين بالأمر بذكر الله [1] .

قلت : وذكر الله تعالى كثيراً ينافي الغفلة ، وهو سبب في الابتعاد عن المعاصي والآثام ، وسبب في الابتعاد عن خصال المنافقين ، وسبب في الابتعاد عن التثاقل عن الصلاة وإدراك تكبيرة الإحرام ، ومن ابتعد عن هذا كله ، وذكر الله كثيراً ، رجونا الله له أن ينال شهادة البراءة من النفاق ، وشهادة البراءة من النار ، بفضل الله وجوده وكرمه وعظيم منَّته ، والله أعلم .

الدليل الخامس : حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أحسن القول في أصحابي فقد برئ من النفاق ، ومن أساء القول في أصحابي كان مخالفا لسنتي ، ومأواه النار وبئس المصير) قال الطبري في الرياض النضرة : أخرجه في شرف النبوة أبو سعد . وفي رواية : (من أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن) رواه ابن غيلان[2] .

وقد بيّن الإمام الطحاوي رحمه الله أن البراءة من النفاق لا تكون إلا بسلامة المعتقد في آل بيت النبوة الأطهار والصحابة الكرام رضي الله عنهم جميعاً ، فقال :

---

١ - انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ج١/٤٤٥.

٢ - الرياض النضرة للطبري ج١/١٩١ .

(ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس ، فقد برئ من النفاق) [1].

قلت : ولقد رأينا من يسيء القول في الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، كيف يخرج من المسجد النبوي الشريف عند إقامة صلاة الجماعة ، وإن صلى أحدهم في المسجد ، فإنه يقف في الصف خارجاً عن الجماعة ، ولا يتابع الإمام في الصلاة ، فهم مخالفون لأهل السنة والجماعة في صلاتهم وأقوالهم وأفعالهم .

١ – انظر العقيدة الطحاوية لأحمد بن محمد الأزدي أبو جعفر الطحاوي ج١/٥٧ .

المطلب الثاني : بيان القاعدة الثانية وتأصيلها :

القاعدة الثانية : { من أدرك تكبيرة الإحرام وحسُنت صلاته حسُن سائر عمله ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع } .

الصلاة صلة بين العبد وربه ، وهي خير الأعمال ، وأحبها إلى الله ، فمن جاهد نفسه صادقاً لتكون صلاته حسنة ، حافظاً لها ، موقراً لها ، مواظباً على إدراك تكبيرة الإحرام فحري به أن يكون سائر عمله حسناً ، ومن أساء صلاته أو ضيعها ، فهو لما سواها من الأعمال أضيع ، والصلاة عنوان على ما سواها من الأعمال ، وعنوان من حسنت صلاته وحفظها إدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها ، وعنوان من فرط في صلاته وأساء تفريطه في تكبيرة الإحرام ، فالمواظبة على إدراك تكبيرة الإحرام علامة فارقة بين رجل يوقر صلاته ويحسنها ويقيمها ويخشع فيها ، وبين رجل آخر لا يوقر صلاته ، مفرط دأبه التأخر عن الصلاة ، لا يأت الصلاة إلا دبراً ، ولا يقرب المساجد إلا هجراً ، يأتي عجولاً ويصلي مسبوقاً ، ورجل هذا حاله مضيع لصلاته ، وهي خير الأعمال وأحبها إلى الله ، فهو ـ بلا ريب ـ لما سواها من الأعمال أضيع .

وقولنا : (من أدرك تكبيرة الإحرام وحسُنت صلاته) أي جاهد نفسه صادقاً لإدراك تكبيرة الإحرام ، ولتكون صلاته حسنة ، وهذا قيد يخرج به من أضاع تكبيرة الإحرام وأساء صلاته ، ولم يجاهد نفسه في تحسينها ، ولم يصدق الله في إقامتها .

والناس في إساءة الصلاة وإضاعتها على أقسام :

١ ـ منهم : من يصلي ولا يدري عن صلاته شيئاً ، فلا يتم قراءتها ولا ركوعها ولا سجودها ، وقد رأى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رجلاً لا يتم الركوع والسجود ، فقال له : (منذ كم هذه صلاتك ؟ قال : منذ أربعين سنة . فقال له : ما صليت منذ أربعين سنة) [١] فكم من مصل لا خلاق له ، وحاله كحال الأعرابي الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم : (ارجع فصلّ فإنك لم تصل) [٢] لقد رأى الناس يصلون فهو يفعل كما يفعلون ، فصلاته عادة ، وليست عبادة .

٢ ـ ومنهم : من يصلي ولا يوقر صلاته ، كثير الحركة والعبث ، لا تراه ساكناً ، ولا تجده خاشعاً ، وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها) [٣].

---

١ – رواه البخاري ج١/٢٧٣ رقم ٧٥٨ ، وأحمد في المسند ج٥/٣٨٤ رقم ٢٣٣٠٦ ، والنسائي ج١/٢١٠ رقم ٦٠٨ ، وابن حبان ج٥/٢١٩ رقم ١٨٩٤ ، والبزار ج٧/٢٤١ رقم ٢٨١٩ ، والطبراني في الأوسط ج ٢/٢٠١ رقم ١٧١٨.

٢ – رواه البخاري ج١/٢٧٤ رقم ٧٦٠ ، باب حد إتمام الركوع والاعتدال فيه . ومسلم ج٢/١٠ رقم ٩١١ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة .

٣ – رواه أحمد في المسند ج٤/٣٢١ رقم ١٨٩١٤ وعلق الشيخ شعيب الأرنؤوط فقال : حديث صحيح . وأبو داود ج١/٢٧١ رقم ٧٩٦ ، والنسائي ج١/٢١١ رقم ٦١٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان ج٧/١٢٢ رقم ٢٩٧٤. وانظر صحيح الجامع للألباني رقم ١٦٢٦.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : (ولتنتقض عرى الإسلام عروة عروة ويكون أول نقضها الخشوع حتى لا ترى خاشعاً)[1] . وهؤلاء أيضاً صلاتهم عادة وليست عبادة يتفيؤون ظلالها ويستريحون إليها، وينعمون بذكر الله قبلها وبها وبعدها.

٣ ـ ومنهم : من إذا صلى في المسجد تضجر ورفع صوته ، ولا صبر له حتى تقام الصلاة ، فإذا أقيمت نقرها وارتاح منها ، وانطلق سراعاً إلى أشغاله ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قوله : (يأتي زمان يجتمعون ويصلون في المساجد وليس فيهم مؤمن) [2] .

قال الإمام الذهبي رحمه الله : ومعناه مؤمن كامل الإيمان فأراد ليس فيهم مؤمن سليم من النفاق بحيث لا يرتكب صفات النفاق من إدمان الكذب والخيانة وخلف الوعد والفجور والغدر وغير ذلك ، ونحن اليوم نرى الأمة من الناس من أعراب الدولة

---

١ – انظر السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو المقرئ الداني ج ٣/٥٣٤ رقم ٢٢٥ ، وروي أيضاً عن شداد بن أوس رضي الله عنه في حديث عوف بن مالك الأشجعي ، رواه الحاكم في المستدرك ج١/١٧٨رقم٣٣٧ وقال : هذا صحيح وقد احتج الشيخان بجميع رواته ، والنسائي في السنن الكبرى ج٣/٤٥٦ رقم ٥٩٠٩ ، وابن حبان ج١٠/٤٣٣ رقم ٤٥٧٢ . قلت : الخشوع في الصلاة هو الحضور والتفاعل والتعقل والتفكر فيما يقوله أو يسمعه من الذكر ، فالإنسان عندما يكبر للصلاة تنازعه أفكار شتى ، تهجم عليه من العقل الباطن ، ويحاول الخاشع بعقله الظاهر طرد هذه الأفكار ليحل محلها الخوف والرجاء والمحبة لله وروعة المناجاة ، وهذا يحتاج إلى حضور ومجاهدة وصبر وخوف ورهبة وخشية من الله تعالى ، هذا هو الخشوع ، والله أعلم .

٢ – رواه الحاكم في المستدرك ج٤/٤٨٩ رقم ٨٣٦٥ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وصفة المنافق للفريابي ج١/٨٠ رقم ١٠٨ ، وابن أبي شيبة ج٧/٥٠٥ رقم ٣٧٥٨٦ .

يجتمعون في المسجد وما فيهم مؤمن ونحن منهم نسأل الله توبة وإنابة ، فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾[1] وهذا باب واسع ينبغي للشخص أن يترفق فيه بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فلا يسلبهم الإيمان والإسلام كفعل الخوارج والمعتزلة المكفرة لأهل القبلة بالكبائر ، ولا ننعتهم بالإيمان الكامل كما فعلت المرجئة فالمسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده [2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله : (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما يبقى الصلاة وليصلِنّ قوم لا إيمان لهم) [3] . وفي رواية : (وليصلينّ قوم لا دين لهم) [4] .

٤ - ومنهم : من يُحسن صلاته مرائياً الناس لاعتبارات شخصية ، وقد كان بعض غلمان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يشمر ويلزم المسجد ، فلما يراه عبد الله بن عمر على تلك الحال الحسنة يعتقه ، فيقول له أصحابه : والله يا أبا عبد

---

١ - الحجرات الآية ١٤.

٢ - انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج٥/٥١.

٣ - رواه الطبراني في المعجم الكبير ج ١٤١/٩ رقم ٨٦٩٩ ، والبيهقي في الشعب ج٣٢٥/٤ رقم ٥٢٧٣ .

٤ - انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٣٢٩/٧ وقال : رواه الطبراني ورجـ- رجال شداد بن معقل وهو ثقة . والطبراني الكبير ج ١٤١/٩ رقم ٨٧٠٠ ، والبيهقي في السنن ج٢٨٩/٦ رقم ١٢٤٧٦ ومكارم الأخلاق للقرشي ج٩٠/١ رقم٢٧٤ ، والخطيب في تاريخه ج٧٩/١٢ رقم٦٤٨٨ ، ومصنف عبد الرزاق ج٣٦٣/٣ رقم ٥٩٨١ .

الرحمن ، ماهم إلا يخدعونك ، فيقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (من خدعنا بالله انخدعنا له) [1] .

٥ - ومنهم : من لا يصلي فرضه إلا بعد فوات الوقت ، لا يقرب المساجد إلا هجراً ولا يأت الصلاة إلا دبراً تفوته تكبيرة الإحرام والركعة الأولى والثانية والثالثة ....

٦ - ومنهم : من يصلي في بيته ، ويتخلف عن الجماعة بلا عذر ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قوله في صلاة الجماعة : (ولقد رأيتنا ما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق) [2] .

وقليل هم الذين يحافظون على صلاة الفجر والعشاء في جماعة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أثقل صلاة على المنافقين ، صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً) [3] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قوله : (إذا فقدنا الرجل في صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، أسأنا الظنّ به) [4] .

---

١ - انظر الطبقات الكبرى للزهري ج١٦٧/٤ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٢٩٤/١ .

٢ - رواه مسلم ج٤٥٣/١ رقم ٦٥٤ .

٣ - رواه مسلم ج٤٥١/١ رقم ٦٥١ .

٤ - رواه ابن خزيمة ج٣٧٠/٢ رقم ١٤٨٥، وابن حبان ج٤٥٥/٥ رقم ٢٠٩٩، والحاكم في المستدرك ج٣٣٠/١ رقم ٧٦٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤٠/٢ وقال: رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجال الطبراني موثوقون ورجال البزار ثقات.

وقليل من قليل هم الذين حسُنت صلاتهم ، فهم يوقرونها ، ويقيمونها في جماعة المسلمين ، ويحافظون على تكبيرة الإحرام ، جعلنا الله منهم بكرمه وعظيم منّه .

تأصيل القاعدة :

إن الأدلة التي تأمر بالصلاة وإقامتها والمحافظة عليها وتوقيرها وعدم تأخيرها وإضاعتها في الكتاب والسنة كثيرة معلومة ، والمؤمن يسارع في الاستجابة لهذه الأوامر فيحسن وضوئه ويحسن إقامتها ، ولا يؤخرها عن وقتها ويصليها في جماعة ، أما من ضيع صلاته فلم يحسن وضوءها ولا ركوعها ولا سجودها ، ويؤخرها عن وقتها ولا يصلها في جماعة ، فهو بلا ريب ضائع خاسر ، عندما أضاع أمر ربه في الصلاة مع خفة مؤنتها عليه ، وعظيم فضلها ، وهو لما سواها أضيع وأخسر .

والأدلة على ذلك ما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[1].

قال الطبري رحمه الله : عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ يقول : في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله [2].

---

١ – العنكبوت الآية ٤٥.

٢ – انظر تفسير الطبري ج١/١٤٤.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصلاة نور) [1].

قال النووي رحمه الله : الصلاة نور ، معناه أنها تمنع من المعاصي ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به [2].

فمن أقام صلاته وحفظها ووقرها وأصلحها وحسنها ، وهو صادق مع ربه ، فإن صلاته بلا ريب ستهديه إلى الصواب ، وستنهاه عن الفحشاء والمنكر ، وسيصلح سائر عمله بإذن الله ، فإقامة الصلاة بحق ، تقوم اعوجاج المرء ، وتصلح عمله ، وتباعده عن الموبقات والمهلكات ، وإن الحسنة تجر إلى حسنة مثلها ، ومن صدق الله في مجاهدة نفسه وإصلاح صلاته ، وقام وركع وسجد ودعا ربه صادقاً ، صدقه الله في إصلاح سائر عمله ، ووفقه لعمل أهل الإيمان ، وكره إليه عمل أهل الكفر والفسوق والعصيان ، وكان من الراشدين ، جعلنا الله منهم بفضله وجوده وكرمه وعظيم منته .

فالذي يدعو ربه بصدق ، وهو يشكو سوء نفسه وصلاته ، فإن الله يصدقه في صلاح صلاته ، ويصدقه في صلاح سائر أعماله ، فالذي يقول مثلاً : (يا رب إني

---

١ - وتمام الحديث قوله عليه الصلاة والسلام : (الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها) رواه مسلم ج١/٢٠٣ رقم ٢٢٣ .

٢ - شرح النووي على مسلم ج٣/١٠١.

عبد سوء ، أشكو إليك سوء صلاتي ، ما إن أكبر للصلاة حتى يتنابني الشرود ، فلا أعي من صلاتي شيئاً ، وما إن أكبر للصلاة حتى تهجم عليّ أفكار وخواطر أنت تعلمها ، وأستحي من ذكرها ، وذلك لأني أخوض طيلة نهاري وليلي فيما لا يعنيني ، يا رب أحب أن أكون محسناً وموقراً لصلاتي خاشعاً فيها ، لكني عبدك الضعيف استسلم لذاك الشرود ، ولتلك الخواطر ، يا رب أسألك العون ، أعني يا خير معين على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، يا رب أعني على ترك مالا يعنيني ، يا رب اجعلني عبداً خاشعاً لك ، منيباً إليك ، خائفاً وجلاً منك ، اجعلني منتهياً عن الفحشاء والمنكر ، اجعلني محافظاً على صلاتي دائماً عليها ، محسناً وموقراً لها ، يا رب أصلحني وأصلح لي صلاتي ، وسائر أعمالي ...) فمثلُ هذا الموفق نرجو الله له التوفيق والسداد وصلاح العمل والاستقامة على تكبيرة الإحرام والمداومة عليها .

فالصلاة الصحيحة الحسنة لها ثمار يانعة في إصلاح سائر العمل ، تباعد صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، وتحجزه عن كبائر الذنوب والموبقات ، وإذا وقع في اللمم وصغائر الذنوب والخطايا ، فإنها تكفر وتغسل بوضوئه للصلاة ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن فلاناً يصلي بالليل ، فإذا أصبح سرق ، قال : (إنه سينهاه ما تقول) أو قال : (ستمنعه صلاته)[1].

---

١ - رواه أحمد في المسند ج٢/٤٤٧ رقم ٩٧٧٧ ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين . ورواه أيضاً ابن حبان ج٦/٣٠٠ رقم ٢٥٦٠ ، والبيهقي في شعب =

وعلى كل حال فإنّ المراعي للصلاة لا بدّ أن يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها ، وكيف لا تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ؟ ونحن نرى أن من ارتدى ثوباً فاخراً ، فإنه يتجنب مباشرة القاذورات ، ومن كان مصلياً فقد ارتدى لباساً من التقوى ، ومن كان كذلك ، فكيف لا يتجنب الفواحش والمنكرات ؟!.

وأيضاً فكم من المصلين الذين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ، واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن ذلك ، كما تقول : إن زيداً ينهى عن المنكر ، فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المنكرات ، وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه ، وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم [1].

الدليل الثاني : قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[2].

وإذا كان المؤمن الخاشع في صلاته مفلح ناجح ، لصلاح صلاته وسائر عمله ، فمفهوم المخالفة أن الذي أضاع صلاته خاسر ضائع ، لفساد صلاته وسائر عمله ، ومفهوم المخالفة حجة عند جمهور علماء الأصول سوى أبي حنيفة رحمه الله [3].

= الإيمان ج٣/١٧٤ رقم ٣٢٦١ ، وابن أبي الدنيا ج١/٤١٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٢/٣٥١ رقم ٣٥٥٥ وقال : رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح . والتبريزي في مشكاة المصابيح ج١/٢٧٥ رقم ١٢٣٧، وقال الألباني : صحيح . وفي السلسلة الضعيفة ج١/٥٤ رقم ٢ قال : رواه أحمد والبزار والطحاوي والبغوي والكلاباذي بإسناد صحيح .

١ – انظر تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني ج١/٣١٦١.

٢ – المؤمنون الآية ١ ، ٢ .

٣ – انظر مذكرة أصول الفقة للشنقيطي ص٢٨٦.

وفي هذا المعنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر) [1].

فالفلاح والنجاح كله منوط يوم القيامة بصلاح صلاة العبد ، كما أن الخيبة والخسارة كلها منوطة بفساد صلاة العبد ، فمن صلحت صلاته ، فقد أفلح وأنجح ، ومقتضى هذا أن تكون سائر أعماله صالحة ، ومن أفسد وأضاع صلاته ، فهو الخائب الخاسر ، ومقتضى هذا أن تكون سائر أعماله فاسدة ، والله أعلم .

الدليل الثالث : حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أول ما يحاسب العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله) [2].

فصلاح الصلاة دل على صلاح سائر الأعمال ، وفساد الصلاة دل على فساد سائر الأعمال ، فمن حفظ صلاته وأصلحها وأحسنها ، فهو لغيرها أحفظ وأصلح وأحسن ، ومن أفسد صلاته وأضاعها ، فهو لغيرها من الأعمال أفسد وأضيع .

---

١ – رواه الترمذي ج٢/٢٦٩ رقم ٤١٣ وقال : حديث حسن غريب ، والنسائي ج١/١٤٣ رقم ٣٢٥ والمنذري في الترغيب والترهيب ج١/٢٠١ رقم ٧٦٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان ج٣/١٨٢ رقم ٣٢٨٦ ، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة ج١/ ٢١١ رقم ١٨٢ وابن أبي شيبة في مصنفه ج٧/٢٧٦ رقم ٣٦٠٤٧ ، وانظر صحيح الجامع للألباني م١ رقم ٢٠٢٠.

٢ – انظر الأحاديث المختارة للمقدسي ج٧/١٤٥ رقم ٢٥٧٨ وقال : الحديث إسناده حسن لشواهده . والترغيب والترهيب للمنذري ج١ /١٤٩ رقم ٥٥١ وقال : رواه الطبراني في الأوسط ج٢/٢٤٠ رقم ١٨٥٩ ولا بأس بإسناده . وانظر صحيح الجامع للألباني م١ رقم ٢٥٧٣.

لذلك تجد هذا الميزان الدقيق والمقياس الفارق مهماً عند الفاروق الملهم والخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما كتب إلى عماله ، فقال لهم : (إن أهم أمركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ..)[1].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾[2] : لما ذكر تعالى حزْبَ السعداء، وهم الأنبياء، عليهم السلام ، ومن اتبعهم، من القائمين بحدود الله وأوامره، المؤدين لفرائض الله ، التاركين لزواجره - ذكر أنه (خَلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ) أي: قرون أخر، (أَضَاعُوا الصَّلاةَ) - وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع ؛ لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد - وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غياً ، أي : خَسَارًا يوم القيامة)[3] .

---

١ - رواه الإمام مالك في الموطأ ج١/٦ رقم ٦ بسنده عن نافع عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والبيهقي في السنن الكبرى ج١/٤٤٥ رقم ١٩٣٥ ، وعبد الرزاق في مصنفه ج١/٥٣٦ رقم ٢٠٣٨ ، والطحاوي في معاني الآثار ج١/١٩٣ ، قال الزرقاني في شرحه ج١/٣٣ : هذا منقطع ؛ لأن نافعاً لم يلق عمر بن الخطاب ، ثم قال : وهذا وإن كان منقطعاً لكن يشهد له أحاديث أخر مرفوعة .

٢ - مريم الآية ٥٩ .

٣ - انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٥/٢٤٣ .

وقال السعدي رحمه الله في تفسيره : فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع [١].

والمراد بحفظ الصلاة كما قال ابن رشيق : أي علمَ مالا تتم إلا به من وضوئها وأوقاتها وما يتوقف على صحتها وتمامها ، ومعنى حافظ عليها : أي سارع إلى فعلها في وقتها [٢]. ومن معاني حفظ الصلاة أيضاً تأديتها بخشوع القلب والجوارح [٣].

وإضاعة الصلاة ألا يحافظ عليها ، وله وجوه : إما بتركها ، أو تأخيرها ، وإخراجها عن وقتها[٤] ، ومن معاني ضياع الصلاة أيضاً : عدم كمال وضوئها وعدم إتمام ركوعها وسجودها وخشوعها .

قال القرطبي رحمه الله : واختلفوا أيضاً في معنى إضاعتها . أي الصلاة . فقال القرظي : هي إضاعة كفر وجحد بها ، وقال القاسم بن مخيمرة وعبد الله بن مسعود

---

١ – انظر تفسير السعدي ج١/٥١٧.

٢ – انظر تنوير الحوالك للسيوطي ج١/٢٠ ، وشرح الزرقاني ج١/٣٤ .

٣ – انظر فيض القدير للمناوي ج١/٢٤٩.

٤ – انظر شرح الزرقاني ج١/٣٤ ، قلت : وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه باب تضييع الصلاة عن وقتها ج١/١٩٧ ثم ذكر أثر أنس بن مالك رضي الله عنه ـ رقم ٥٠٧ ـ وهو بدمشق يبكي وقد سأله الزهري : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت .

ي إضاعة أوقاتها ، وعدم القيام بحقوقها وهو الصحيح ، وأنها إذا صليت مخلاً بها تصح ولا تجزئ [1] .

قال ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد : وجملة القول في هذا الباب أن من لم حافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس بمحافظ عليها ، ومن لم يحافظ ليها فقد ضيعها ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، كما أن من حافظ عليها فقد فظ دينه ، ولا دين لمن لا صلاة له [2] .

قلت : الناس في حفظهم للصلاة ومواظبتهم عليها أو تضيعهم لها يتفاوتون ما ين مسلم وكافر ، ومنافق وظالم لنفسه ، ومقتصد وسابق بالخيرات ، فمن الناس من رك الصلاة فلم يصلي دهره ، ومنهم من يصلي أحياناً ، ويترك الصلاة أحياناً أخرى ومنهم من يؤخر الصلاة عن وقتها بلا عذر ، ومنهم من يتخلف عن صلاة الجماعة لا تراه في المسجد إلا قليلاً ، ومنهم من يصلي الصلوات الثلاث في جماعة ، ويتغيب عن صلاة الفجر والعشاء ، ومنهم من يصلي الصلوات الخمس في جماعة ، لكنه لا يدري عن وضوئه وصلاته شيئاً ، ومنهم من إذا فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام يرى أنه قد أضاع نفسه ... .

---

١ - انظر تفسير القرطبي ج١١/١٢٢ ، وتفسير الطبري ج١٦/٩٨ ، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي ج١/١٢٢.

٢ - انظر التمهيد لابن عبد البر ج٢٣/٣٠٠.

فحفظ الرجل لصلاته أو تضيعه لها هي عنوان لما سواها من الأعمال التي تدل على صلاح الرجل من عدمه لذلك كانت المحافظة على الصلاة في وقتها من أفضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ (قال : الصلاة لوقتها قال: قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين ، قال: قلت : ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله) [١].

قال الطبري رحمه الله : إنما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه الثلاثة بالذكر لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات ، فإن من ضيع الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها بدون عذر مع خفة مؤنتها عليه وعظيم فضلها ، فهو لما سواها أضيع ، ومن لم يبر والديه مع وفور حقهما عليه كان لغيرهما أقل براً ، ومن ترك جهاد الكفار مع شدة عداوتهم للدين كان لجهاد غيرهم من الفساق أترك ، فظهر أن الثلاثة تجتمع في أن من حافظ عليها كان لما سواها أحفظ ، ومن ضيعها كان لما سواها أضيع[٢].

فالذي حفظ صلاته وحافظ عليها فقد حفظ دينه ، ومن ضيع الصلاة مع خفة مؤنتها عليه ، وعظيم فضلها ، فهو لما سواها أضيع ، فالمضيع لصلاته لا يرجى منه خير لأحد ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فالضائع الذي لا خير فيه لنفسه ، كيف ينتظر منه خير لغيره ؟.

---

١ – رواه البخاري ج٣/١٠٢٥ رقم ٢٦٣٠ ، ومسلم ج ١/٨٩ رقم ٨٥.

٢ – انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٦/٤.

ورحم الله سلفنا الصالح ، فقد ثبت عنهم في الرجل يضيع التكبيرة الأولى بوصفهم له : لا ترج خيره ، واغسل يدك منه [1] . فكيف بمن يضيع ركعة أو ركعتين أو ثلاث أو بمن يضيع صلاته كلها ؟.

والمؤمن الذي يحافظ على صلاته ، فيصليها في أول وقتها مع الجماعة ، ويأتي إليها قبل الإقامة ولا يتخلف عن تكبيرة الإحرام ، يتم وضوئها وقراءتها وركوعها وسجودها وخشوعها ، فهذا موقر لصلاته محسن لها ، وهذه الأمور وغيرها هي عنوان صلاح الرجل في الظاهر - فيما نحسب - كما أن إساءته وضياعه لصلاته عنوان لسوء الرجل - فيما نحسب - وضياع ما سواها من الأعمال ، والله أعلم .

الدليل الرابع : حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الصلاة ثلاثة أثلاث ، الطهور ثلث ، والركوع ثلث ، والسجود ثلث ، فمن أداها بحقها قبلت منه ، وقبل منه سائر عمله ، ومن ردت عليه صلاته ، رد عليه سائر عمله) [2] .

وانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : (بحقها) فمن جاهد نفسه وأدى صلاته بحقها ، وفق في حياته الدنيا لإصلاح ما سواها من الأعمال ، وفي الآخرة قبلت منه

---

١ - سبق ذكر بعض الآثار عن إبراهيم التيمي ووكيع بن الجراح رحمهم الله تعالى انظر ص٧٦.

٢ - انظر مجمع الزوائد ج١٤٧/٢ قال الهيثمي : رواه البزار وقال : لا نعلمه مرفوعاً إلا عن المغيرة بن مسلم قلت (الهيثمي) : والمغيرة ثقة وإسناده حسن . والترغيب والترهيب للمنذري ج٢٠٢/١ رقم ٧٦٦ وقال : إسناده حسن ، والسلسلة الصحيحة للألباني م٦ج١رقم ٢٥٣٧.

صلاته وسائر عمله ، ومن أضاع صلاته وأساء أداءها ، ولم يجاهد نفسه لإقامة صلاته بحق ، ولم يصدق الله في قيامه وركوعه وسجوده ودعاءه ، فعندئذ لن يوفق في الدنيا لإصلاح سائر عمله ، وفي الآخرة ترد عليه صلاته وسائر عمله .

الدليل الخامس : آثار السلف الصالح .

١ ـ عن تميم بن سلمة ، قال : (أول ما يُسئل عنه العبد يُسئل عن صلاته ، فإن تقبلت منه تقبل منه سائر عمله ، وإن ردت عليه رد عليه سائر عمله) [١].

٢ ـ وعن يحيى بن سعيد ، أنه قال : (بلغني أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة ، فإن قبلت منه نظر فيما بقي من عمله ، وإن لم تقبل منه ، لم ينظر في شيء من عمله) [٢] .

قال ابن عبد البر في التمهيد : وهذا لا يكون رأياً ولا اجتهاداً ، وإنما هو توقيف وقد روي مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح [٣].

قلت : هذه الآثار عن تميم بن سلمة ويحيى بن سعيد وغيرهما هي بمعنى الحديث الصحيح المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه السابق ذكره في الدليل الرابع، وقبول سائر العمل منوط بقبول الصلاة ، وصلاح الصلاة ، وقبولها يدل على صلاح

---

١ – انظر مصنف ابن أبي شيبة ج٧/٢٦٢ رقم ٣٥٩٠٦ ، وبمثله أيضاً قال نمير بن سلمة ج٢/١٧١ رقم ٧٧٧٢.

٢ – انظر الموطأ ج١/١٧٣ رقم ٤١٨ ، وبمثله أيضاً قال عون بن عبد الملك ، انظر تعظيم قدر الصلاة للمروزي ج١/٢١٨ رقم ١٩٤.

٣ – انظر التمهيد لابن عبد البر ج٢٤/٧٩.

سائر الأعمال وقبولها ، وأما من أضاع صلاته ، ولم يؤدِ حقها ردت عليه ورد عليه سائر عمله .

٣ ـ كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى عدي بن أرطأة ، قوله : (بلغني أنك تستن بالحجاج ، فلا تستن بسنته ، فإنه كان يصلي الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة حقها ، وكان لما سوى ذلك أضيع) [١] .

٤ ـ عن أبي العالية ، قال : أرحل إلى الرجل مسيرة أيام ، فأول ما أتفقد من أمره صلاته فإن وجدته يقيمها ويتمها أقمت وسمعت منه ، وإن وجدته يضيعها رجعت ، ولم أسمع منه رجاء هو لغير الصلاة أضيع[٢] .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

---

١ – انظر حلية الأولياء ج٥/٣٤٥.

٢ – أبو العالية الرياحي اسمه الرفيع أعتقته امرأة من بني رياح ، انظر حلية الأولياء ج٢/٢٢٠ ، وسير أعلام النبلاء ج٤/٢٠٩، والرحلة في طلب الحديث للبغدادي ج١/٩٣ رقم ٢٢.

المبحث الثالث :

إدراك تكبيرة الإحرام وحُسن الصلاة جهاد وتغييرٌ للأنفس وتزكية لها وسمو بها نحو الأفضل والأكمل.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : بيان أن إدراك تكبيرة الإحرام وحُسن الصلاة فيه جهاد وتغييرٌ لنفس صاحبها وتزكية لها وسمو بها نحو الأفضل والأكمل .

المطلب الثاني: رعاية الأولاد وإدراك تكبيرة الإحرام .

المطلب الأول : إدراك تكبيرة الإحرام وحُسن الصلاة فيه جهاد وتغيير لنفس صاحبها وتزكية لها وسمو بها نحو الأفضل والأكمل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1].

تغيير الأنفس يتطلب أمرين اثنين :

الأول : العلم والتصور الصحيح .

والثاني : الإرادة والقصد ، أو العمل والممارسة .

والمؤمن يعلم أن الصلاة مصدر أمن وإيمان ، وسكينة واطمئنان ، وأن نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كان إذا حزبه أمر صلى[2] .

والمؤمن يعلم أيضاً أنه كلما أتى مبكراً إلى الصلاة ، زاد رصيده فيها من السكينة والطمأنينة والخشوع والأمان ، وأنه كلما قصر في صلاته ، وشدته الأهواء والمغريات عاش في خوف وقلق وهلع ، حتى يتدارك ذلك التقصير .

لا بد للمؤمن أن يعلم هذا أولاً ، وإذا زاد علمه وأدرك مكانة تكبيرة الإحرام ، وفضل المواظبة عليها ، وما يترتب على فواتها ، من غير لبس أو تأويلات منحرفة أو تصورات خاطئة ، ثم وجدت لديه بعد ذلك الرغبة الصادقة ، والإرادة الجازمة في

---

١ - الرعد الآية ١١.

٢ - رواه أحمد في المسند ج٥/٣٨٨ رقم ٢٣٣٤٧ ، وأبو داود ج١/٤٢٠ رقم ١٣١٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان ج٧/١٨٠ رقم ٣٠٣٢ ، وانظر صحيح الجامع الجامع للألباني ج١/٨٨٤ رقم ٤٧٠٣ .

تطبيق ما تعلم ، فإن نفسه ـ بلا شك ـ ستتغير وتزكو وترقى نحو السمو والعلو والأفضل والأكمل بفضل الله العليّ الأكرم .

والمؤمن كلما ازداد علمه ، وصدقت إرادته ، وعمل بما علم ، وازداد تقوى ، زكت نفسه ، واستطاع التغلب عليها ، وكان على غيرها أقدر ، لا سيما أهله وأولاده ، وكان تأثيره في الآخرين أمثل وعلى تغيير أنفسهم أجدر ، بفضل الله وتوفيقه .

فكن أخي المؤمن صادق الرغبة ، قوي الإرادة ، في مجاهدة نفسك حتى تستقيم لك المواظبة على تكبيرة الإحرام ، فإن هذا من تحسينك لصلاتك وتوقيرك لها ، وكما بينت سابقاً في قاعدة : { من حسنت صلاته حسن سائر عمله } فإن للصلاة الصحيحة الحسنة ، ثمار يانعة في إصلاح سائر العمل ، تباعد صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، وتحجزه عن كبائر الذنوب والموبقات ، وكيف لا تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ؟ ومن يرتدي الثوب الجديد الفاخر ، تراه يتجنب مباشرة القاذورات ، ومن كان مصلياً فقد ارتدى لباساً من التقوى، فكيف لا يتجنب الفواحش والمنكرات ؟!

ومن جاهد نفسه في إدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها ، فقد خطى الخطوة الأولى من أجل حُسن صلاته ، ولعلك أخي المؤمن ستجد ـ إن شاء الله ـ تغييراً كبيراً في نفسك بين صلاة أتيت إليها مبكراً ، تمشي بسكينة ووقار ، ثم دخلت المسجد وأنت تقول الدعاء المأثور ، وقد صليت السنن مطمئناً ، وجلست في مصلاك تنظر الصلاة تذكر الله ، أو تقرأ كتاب الله ، والملائكة تدعو لك بالرحمة والمغفرة .

وبين صلاة أخرى أتيت إليها عجولاً ، وأنت تلهث منبهر الأنفاس ، وقد فاتتك تكبيرة الإحرام ، وربما فاتتك ركعة أو أكثر ، وفاتتك صلاة السنة ، وقراءة القرآن الكريم ، وذكر الله العظيم ، ودعاء الملائكة لك بالرحمة والمغفرة ، فأثر ذلك كله على دخولك في الصلاة وقراءتها وخشوعها ... .

وانظر أخي المؤمن إذا منّ الله عليك بكرمه ، وواظبت على تكبيرة الإحرام ، وحسنت صلاتك ، ثم قارن نفسك وأعمالك كلها في هذه الأيام ، وبين تلك الأيام الخالية التي فاتتك فيها تكبيرة الإحرام ، وربما ركعة أو أكثر ، فإنك ترى فرقاً وتغييراً واضحاً كبيراً .

ومن حسنت صلاته ، فقد زكت نفسه ، وصفت روحه ، واطمأن قلبه ، وحسن سائر عمله ، بل إن حياته كلها تتغير نحو الأفضل والأكمل بفضل الله وجوده وكرمه.

والمؤمن حريص أن يأتي الصلاة قبل النداء ، يصلي سنة الجلوس في المسجد ، ثم السنة الراتبة ، ثم يقرأ كتاب الله الكريم ، ويذكر الله الحميد ، وهو في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة ، مالم يحدث .

ومجيئك للصلاة مبكراً ، تمشي الهوينا بسكينة ووقار ، سبب لنشاط جوارحك ، ولانشراح صدرك ، وخشوع قلبك ، وغذاء روحك ، وتزكية نفسك ، وراحة بالك ، ونور

وجهك ، وقربك من ربك ، إذ أقبلت إليه تمشي فأقبل إليك هرولة ، وفي الحديث القدسي يقول الرب سبحانه : (وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) [1] .

فيا عبد الله دع عنك التباطؤ عن تكبيرة الإحرام ، وسارع في إدراكها ، وجاهد نفسك مرة بعد مرة ، وحاول ولا تيئس ، حتى تصير تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها ديدنك ، وكن قوي العزيمة ، عالي الهمة ، وإذا هممت فبادر ، وإذا عزمت فثابر ، وأعلم أنه لا يدرك المفاخر ، من رضي بالصف الآخر ، وقوة العزيمة وعلو الهمة شأن السابقين المكرمين ، والسابق لا يرضى إلا بالصف الأول ، ويأبى أن تفوته تكبيرة الإحرام ولو مرة ، ولا يرضى أن يكون مسبوقاً في صلاته ، ومن يسعى لإدراك تكبيرة الإحرام ، فقلما تراه مسبوقاً بركعة ، ومن كان جل همه إدراك صلاة الجماعة ـ وإدراكها يكون بإدراك الركعة الأخيرة ـ فما أكثر ما تراه مسبوقاً ، وربما فاتته الصلاة .

وإذا فاتتك مرة تكبيرة الإحرام ، وأصابك هم وغم شديد ، وخشيت على نفسك النفاق، فأقبل إلى الله بصدق ، واشكو إليه بثك وحزنك على فواتها ، فهو سبحانه بارئ الأنفس ومغيرها ومزكيها ، وخالق القلوب ومقلبها ، ومن صدق الله صدقه ، ومن وفى وفي له.

أما من جهل أن الصلاة أمن وأمان ، وسكينة واطمئنان ، فضلاً عن جهله بفضل المواظبة على تكبيرة الإحرام ، أو علم هذا وتأوله تأويلاً خاطئاً ، أو علمه جيداً

---

١ – رواه البخاري ج٦/٢٦٩٤ رقم ٦٩٧٠ ، ومسلم ج٨/٦٢ رقم ٦٩٨١.

لكنه لم يجاهد نفسه صادقاً في الإقبال إلى الله ، ولم يواظب على تكبيرة الإحرام ، فأنّى لنفسه أن تتغيير وتتزكى وترقى وتسمو نحو الأفضل والأمثل ؟.

اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

المطلب الثاني : رعاية الأولاد وإدراك تكبيرة الإحرام :

ما كنت لأكتب هذا المطلب في رعاية الأولاد وإدراك تكبيرة الإحرام ، لولا أني رأيت بعض من نحسبهم على خير وصلاح ، ممن يلزمون المساجد ، ويبادرون الصف الأول ، ولا تفوتهم تكبيرة الإحرام ، وبعضهم يصلي الفجر ويعتكف إلى الشروق ، وبعضهم يسارعون في البكور إلى صلاة الجمعة ، وبعضهم سابقون إلى الاعتكاف في العَشر الأخير من رمضان ... .

وهؤلاء - حفظهم الله - جاهدوا أنفسهم ، واجتهدوا في رعايتها ووقايتها نار جهنم إلا أنهم قصروا في رعاية ووقاية أهليهم وأولادهم نار جهنم !!.

فتراهم في المسجد سابقون ، وعلى تكبيرة الإحرام يحافظون ، وأولادهم في الطرقات وقت الصلاة يلعبون ، ولا يعلمون مع من يلعبون ؟ ولا من يصحبون ؟! وفي المساء إلى جهاز الراني وسائر القنوات والأجهزة الذكية ينظرون ، وعند صلاة الفجر تركوهم على فرشهم نائمون ... .

وهنا مسألة :

هل للمكلف أن يبادر تكبيرة الإحرام ويأتي للمسجد مبكراً ، ويبقى للشروق ذاكراً ويوم الجمعة تراه للصف الأول سابقاً ، وإذا دخل العشر الأخير من رمضان كان في المسجد معتكفاً قائماً قانتاً ، إلا أنه نسي أهله وأولاده ، وسلّم قيادهم وإدارتهم لغيره فلا يدري عنهم شيئاً ؟.

والجواب :

للمكلف أن يبادر تكبيرة الإحرام ويأتي للمسجد مبكراً ، ويجتهد في عبادة ربه ويقوم بسائر الطاعات المذكورة ، ويقي نفسه نار جهنم ، لكنه ليس له أن ينسى أهله وأولاده من غير رعاية ووقاية ، ويسلم قيادهم لغيره ، ولا يدري عنهم شيئاً ، والأدلة على ذلك كثيرة معلومة ، أذكر منها :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[1] .

قال القرطبي يرحمه الله في تفسيره لهذه الآية : فيه مسألة واحدة : وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار ، فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية فيأمرهم وينهاهم ويعلمهم الحلال والحرام ويجنبهم المعاصي والآثام إلى غير ذلك من الأحكام . قال بعض العلماء لما قال : (قوا أنفسكم) دخل فيه الأولاد ؛ لأن الولد بعض منه .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم .

قال علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد رحمهم الله : قوا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصيتكم .

---

١ – التحريم الآية ٦ .

وذكر القشيري أن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية : يا رسول الله ، نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا ؟ فقال : (تنهونهم عما نهاكم الله وتأمرونهم بما أمر الله).

وقال مقاتل : ذلك حق عليه في نفسه وولده وأهله وعبيده وإمائه [1] .

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه أبواباً في ذلك منها : باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله ، وباب تعليم الرجل أمته وأهله ، ثم ذكر حديث أبو بردة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لهم أجران ... ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران) .

قال ابن حجر في الفتح : قوله : (تعليم الرجل أمته وأهله) مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص وفي الأهل بالقياس ، إذ الاعتناء بالأهل الحرائر في تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالإماء [2] .

قال البخاري رحمه الله : (وقيَّد ابنُ عباس عكرمة على تعلُّم القرآن والسُّنن والفرائض) [3].

قال ابن حجر في الفتح في هذا الأثر المعلّق : وصله ابن سعد في الطبقات وأبو نعيم في الحلية من طريق حمّاد بن زيد عن الزبير بن الخِرِّيت عن عكرمة قال : كان

---

١ – تفسير أحكام القرآن للقرطبي ج١٨/١٢٨.

٢ – انظر فتح الباري ج١/٢٥٠ كتاب العلم رقم الباب ٣١ رقم الحديث ٩٧ .

٣ – انظر صحيح البخاري كتاب الخصومات ، باب ٧ .

ابن عباس يجعل في رجلي الكَبْل فذكره ، والكبل بفتح الكاف وسكون الموحدة بعدها لام هو القيد[١].

قلت : يدل هذا الأثر على حرص ابن عباس رضى الله عنهما الشديد على تعليم مولاه عكرمة حتى أنه كان يُقَيِّده بالكبل في رِجْله ، وذلك لأن الإماء والموالي تدخل في عموم قوله تعالى : (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) فالحرص على تعليم الأولاد ورعايتهم ووقايتهم نار جهنم من باب أولى .

وقال السيوطي يرحمه الله في الإكليل في استنباط التنزيل : فيها أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب عليه من الفرائض وتعليمه أهله من زوجة وولد وعبد وأمة [٢].

وقال السعدي يرحمه الله في تفسيره لهذه الآية : ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله والقيام بأمره امتثالاً ونهيه اجتناباً والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب ، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم وإجبارهم على ما أمر الله فلا يسلم العبد إلا قام بما أمر الله في نفسه ، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه [٣].

قلت : في هذه الآية الكريمة أمر للرجال المؤمنين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم نار جهنم والأصل في كل خطاب عام أن يتناول الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات معاً ،

---

١ – انظر فتح الباري ج٥/٧٥ .

٢ – الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ج٣/١٢٦٩.

٣ – انظر تفسير السعدي ص٨٧٤ .

إلا إذا جاءت قرينة تخصصه للرجال دون النساء كما في هذه الآية ، فالنداء في هذه الآية خاص بالرجال المؤمنين دون النساء ، بدليل قوله تعالى : (وأهليكم) فالمرأة لوحدها أضعف من أن تقي نفسها نار جهنم ، وإلا لما وجه ربنا تبارك وتعالى خطابه لولي أمر المرأة دونها بأن يقيها النار، فقول الله تعالى : (وأهليكم) علم منه أن المرأة لا تستطيع أن تقي نفسها النار ـ فضلاً عن وقاية غيرها ـ لهذا أتى الخطاب لولي أمرها بأن يقيها نار جهنم ، وإذا كان المعني بهذه الآية الرجال والنساء معاً ، لما كان لقوله تعالى : (وأهليكم) أي فائدة وكلام الله مصون عن اللغو .

فالرجل هو المكلف بالقوامة والإدارة والرعاية وليست المرأة ، وليس للرجل أن يغيب عن أهله وأولاده الوقت الطويل ، وإن أمضى هذا الوقت في المسجد في طاعة الله وعبادته ، وليس له أن يسلم زمام الإدارة والقوامة لأهله وهو لا يدري عن أولاده شيئاً ، فالمرأة لا تقوى أن تقوم على الأسرة وترعاها ، وإنما ترعى المرأة أولادها في بيتها بإدارة ولي أمرها ، وإذا كانت الأم مدرسة كما قال الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق .

قلنا : الرجل هو مدير هذه المدرسة ، وولي أمرها والمسؤول عنها الذي يرعاها ويقوم عليها ويدير شؤون طلابها ...

وإن صلاح المدرسة وطلابها من صلاح الرجل المدير ، وفسادها من فساده ، فما من زائر يزور مدرسةً ، ويجد الفوضى قد عمت أرجائها ، والضوضاء قد انبعثت من أركانها ، إلا وسيلقي باللائمة الكبرى على مديرها المسؤول عنها .

فالرجل هو ولي الأمر المسؤول - يوم لا ينفع مال ولا بنون - عن أهله وأولاده ، واجب عليه أن يقوم عليهم ويرعاهم ويصونهم ، وأن يقيهم ويبعدهم عن نار الآخرة ، كما يقيهم ويبعدهم عن نار الدنيا ، وذلك بأن يعلمهم الفروض والواجبات من صلاة وصيام وزكاة وحج وبيع وشراء وحلال وحرام وغير ذلك ، وأن يصحبهم معه إلى صلاة الجماعة ويعودهم تكبيرة الإحرام ويصطبر عليهم ، وأن يعلمهم ويصحبهم إلى حلقات العلم ، ويغرس فيهم حب العلم وأهله ، وأن يقضي لهم جميع حوائجهم .

أما المرأة فهي ضعيفة بحاجة إلى ركن قوي تأوي إليه ، بحاجة إلى زوج أو ولي أمر يرعاها ويدير لها أمرها ، فهي لوحدها لا تقوى على القيام على الأسرة ورعايتها ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة) [1] فهذا نص بأن المرأة ضعيفة مثلها مثل اليتيم لا تستطيع أن تقوم على حقها وتدافع عنه ، فكيف تقوم على حقوق أولادها وتدافع عنها وكيف تستخرج حق ولد من أولادها من أخيه أو أخته حال الخصومة ، وهي لا تستطيع أن تنحي عاطفتها الجياشة عن أحد أولادها دون غيره ، فلا بد لها من رجل مدير ترفع إليه شؤون الأسرة ، وخصومات الأولاد ، ومعضلات المشاكا الأسرية .

---

١ - رواه الإمام أحمد في المسند ج٢٠/ ٤٤٧ رقم ٩٩١٦. والحاكم في المستدرك ج١/٨٦ رقم ٢١١ وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي . والبيهقي في السنن ج٢/٧٠ رقم ٢٠٩٥٦.

والخلاصة : أن الرجل هو المسؤول عن وقاية نفسه وأهله وأولاده نار جهنم ، فلا يحل له أن يغيب الوقت الطويل عن أهله وأولاده ، وإن كان غيابه في المسجد عاكف على عبادة ربه ، ولا يحل له أن يترك عبء رعاية الأولاد على أهله ، أو أن يسلم قيادهم للقنوات والفضائيات وهو لا يدري عنهم شيئاً ، فالواجب عليه القيام على رعايتهم وتأديبهم وتعليمهم ما يجب عليهم من الفروض وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ووقايتهم نار جهنم .

ثانياً : عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) [1].

فقوله صلى الله عليه وسلم : (والرجل راع على أهل بيته) نص في أن الرجل هو الراعي على أهل بيته ، ويدخل في أهل البيت الزوجة والأولاد والأم والأخوة والأخوات والإماء والعبيد . فهؤلاء كلهم من رعية الرجل وتحت ولايته ورعايته ، وهو ولي أمرهم المسؤول عنهم أحفظ أم ضيع .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (والمرأة راعية على بيت زوجها وولده) نص في أن المرأة راعية على بيت زوجها بما فيه من مال ومتاع ، فالمرأة راعية وأمينة على نفسها تحفظ نفسها من كل سوء ورذيلة ، فهي - إذا كانت صالحة - خير متاع الرجل

---

١ - رواه البخاري ج٥/١٩٩٦ رقم ٤٩٠٤ ، ومسلم ج٣/١٤٥٩ رقم ١٨٢٩.

وهي أمينة على ولده فيما هو من اختصاصها ، تحفظ ولده وتحضنه وترضعه مع حليبها العفاف والأمانة والحنان والمودة ... وهي أمينة على مال زوجها تحفظه من الضياع والإسراف والتبذير والسرقة ... .

وليست المرأة راعية على أهل بيت زوجها ، وإلا فلا يجتمع للأسرة الواحدة راعيان أو وليان للأمر في وقت واحد ، وإذا غاب الرجل عن أهل بيته ، فتكون الزوجة راعية لأولادها فحسب تنوب عنه في رعايتهم وترفع إليه شؤونهم عند حضوره ، والله أعلم .

ثالثاً : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله ؟ وأي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد ـ يعني مسجد المدينة ـ شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله عز وجل قلبه أمنا يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)[1].

---

١ - رواه الطبراني في الكبير ج١١/٨٣ رقم ١٢٤٦٨ ، وفي الأوسط ج١٣/٢٨٢ رقم ٦٢٠٤ ، وفي الصغير ج٣/٢ رقم ٨٦٢ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ج٨/١٢١ رقم ١٣٧٠٨ وقال : رواه الطبراني في الثلاثة وفيه سكين بن سراج وهو ضعيف . ورواه أبو الشيخ الأصبهاني ج١/٩٣ =

فقوله صلى الله عليه وسلم : (ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً) يدل على قضاء حاجة الأخ المسلم أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعتكاف في المسجد النبوي على الصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن الكريم طيلة شهر كامل ؛ وذلك لأن النفع العام المتعدي للآخرين أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النفع الخاص اللازم .

وإذا كان الأمر كما بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن الأولى أن يكون قضاء حوائج الأهل والأولاد أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعتكاف في مسجده شهراً ، وأولى الناس بتقديم النفع لهم هم الأهل والأولاد ، والله أعلم .

وليس قضاء حاجة الأهل والأولاد أن يأتي الرجل لهم بالطعام والشراب فحسب ، أو يقيهم حر الدنيا بالمكيفات وقرها بالمدافئ والسخانات ، وإنما من أشد حاجتهم تعليمهم الفروض والواجبات والحلال والحرام ، وأن يقيهم نار جهنم ... .

فاصحب أخي المسلم أولادك إلى المسجد وعودهم تكبيرة الإحرام واصطبر عليهم فهذا هو الأفضل والأكمل ، فإن لم تستطع وتأخرت عن تكبيرة الإحرام بسبب قيامك على رعايتك للأولاد واصطحابهم معك إلى المسجد ، فهذا أقل سوءاً من خروجهم إلى

= رقم ٨٨ . وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ج٢/٤٨٠ رقم ٩٠٦. وصحيح الجامع ج١/١٧٦ رقم ١٧٦ .

الطرقات وقت الصلاة وأنت لا تدري عنهم شيئاً ، فإن تأخرك عن تكبيرة الإحرام فيه فوات سنة مؤكدة ، بينما تأخرك عن القيام على رعاية الأولاد واصطحابهم معك إلى الصلاة ووقايتهم نار جهنم ، ففيه ضياع فرض وواجب تسأل عنه يوم القيامة ، وقد يؤدي إلى الخسران المبين ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[1] . نسأل الله تعالى العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا ، وهذا من أدعية وأذكار الصباح والمساء ، فمن لزمها فأرجو الله الكريم ذو الفضل العظيم أن يعافيه في دينه ودنياه وأهله وماله ، وأن يجعل أهله وأولاده قرة عينه ، والله تعالى أعلم .

---

١ - الزمر الآية ١٥ .

وأخيراً : لعل التذكير يجبر التقصير .

يقول ابن القيم رحمه الله : وأما السابقون المقربون فنستغفر الله الذي لا إله إلا هو ، أولاً من وصف حالهم وعدم الاتصاف به ، بل ما شممنا له رائحة ، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم [1] ... الخ .

وابن القيم رحمه الله يقول مقالته هذه تواضعاً واتهاماً منه لنفسه وهو من هو في إمامته وتقربه بشتى الطاعات ، وأما كاتب هذه الكلمات فما أحوجه أن يكون من السابقين إلى مغفرة ربه ، والمواظبين على إدراك تكبيرة الإحرام ، وحسن الصلاة والخشوع فيها ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، من وصف حال السادة الكرام ، أهل تكبيرة الإحرام ، السابقون المقربون ، وعدم اللحوق بهم ، إلا أن محبة القوم ـ كما قال ابن القيم رحمه الله ـ تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال : متى الساعة ؟ قال (وماذا أعددت لها ؟) . قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (أنت مع من أحببت) . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (أنت مع من أحببت) .

---

١ – انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ج١/٣١٩.

قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم [1] .

وإني أحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي وسائر الصحابة الكرام ، رضوان الله عليهم ، والتابعين لهم بإحسان ، وأرجو الله تعالى أن أكون معهم بحبي لهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم ، يا رب ألحقني بالصالحين .

وكنت سأقصر ما كتبت على نفسي وأهلي ، لولا أني تذكرت فضل التبليغ والتذكير وأنه قد يجبر النقص والتقصير ، وأنست بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [2] .

والله تعالى أرجو أن يجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم ، وهادياً إلى دينه القويم وأن ينفع به عباده المؤمنين ، اللهم طيب أعمالنا في طيبة الطيبة ، واجعلنا بمحض فضلك وجودك وكرمك ممن يدرك تكبيرة الإحرام ما أحييتنا ، وامنن علينا بطهارة قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، يا من تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ، اللهم فاطر السماوات والأرض أنت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ،

---

١ - رواه البخاري ج٣/١٣٤٩ رقم ٣٤٨٥.

٢ - رواه البخاري ج١/١٤ رقم ١٣، ومسلم ج١/٦٧ رقم ٤٥.

كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .

كتبه لنفسه ولأهله ولمن شاء الله من بعده

أبو مالك محمد بن قاسم آل غزال الضُّميري

في طيبة الطيبة في ١٤٢٥/١/٢١هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم فضيلة الشيخ أحمد بن عبد الله الحواش حفظه الله .	١
افتتاحية البحث ذكر حديث (إنما الأعمال بالنيات)	٢
مقدمة الطبعة الثانية .	٣
مقدمة البحث وبيان منزلة الصلاة في الإسلام .	٨
بيان السبب الداعي لكتابة البحث .	١٤
بيان منهج البحث .	١٧
الباب الأول : في فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها .	١٩
الفصل الأول : فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها في السنة النبوية المطهرة وآثار السلف الصالح .	٢٠
المبحث الأول : تكبيرة الإحرام وصفتها ووقت إدراكها وحكمها وحكم إدراكها مع الإمام .	٢١
المطلب الأول : تعريف تكبيرة الإحرام وصفتها وبيان وقت إدراكها مع الإمام .	٢٢
تعريف تكبيرة الإحرام .	٢٢
صفة النطق بتكبيرة الإحرام .	٢٣

الموضوع	الصفحة
استحباب رفع اليدين حذو المنكبين عند تكبيرة الإحرام	٢٣
صفة رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام .	٢٣
وقت إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام .	٢٧
بيان فيما تدرك به تكبيرة الإحرام .	٢٨
الخلاصة في اختلاف العلماء في إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام .	٣١
ترجيح القول الأول وهو مذهب جمهور الفقهاء .	٣٣
مسألة : هل يجزئ الدخول في الصلاة بغير قول : (الله أكبر) ؟.	٣٤
مسألة : هل يجزئ التكبير باللغة الأعجمية ؟.	٣٥
المطلب الثاني : حكم تكبيرة الإحرام ، وحكم إدراكها مع الإمام .	٣٩
حكم تكبيرة الإحرام	٣٩
مسألة : ما حكم من كبر تكبيرة الإحرام وهو منحني ؟.	٤٠
مسألة : المعذور الذي لا يستطيع أن يأتي بتكبيرة الإحرام وهو قائم .	٤١
حكم إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام .	٤٣
مسألة : النهي عن صلاة النافلة بعد الإقامة والحكمة منه .	٤٤

الموضوع	الصفحة
مسألة : هل يسرع المصلي إذا خاف فوات تكبيرة الإحرام وطمع في إدراكها ؟.	٤٧
مسألة : إذا سمع الرجل المقيم إقامة الصلاة في المسجد النبوي الشريف ولم تقم الصلاة في مسجد حيه ، فهل يصلي الرجل في المسجد النبوي يرجو ثواب الألف صلاة ، إلا أن تكبيرة الإحرام قد تفوته وربما فاتته الركعة الأولى والثانية .. أم أنه يصلي في مسجد حيه أو في المساجد القريبة يدرك فيها تكبيرة الإحرام ، ولكن سيفوته ثواب الألف صلاة في المسجد النبوي ؟.	٥٢
المبحث الثاني : فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها في السنة النبوية المطهرة .	٥٦
بيان فضل إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها من خلال حديث الباب وبيان درجته .	٥٧
شرح حديث الباب الذي يرويه أنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم .	٥٨
شرح قوله صلى الله عليه وسلم : (من صلى لله) والحديث عن إخلاص العمل لله وحده .	٥٨
ذكر بعض آثار السلف الصالح في الحديث عن الإخلاص .	٦٢
مسألة : كيف تكون صلاتنا خالصة لله تعالى ؟.	٦٤
مسألة : من بدأ صلاته لله تعالى ثم حسنها للناس .	٧٠
شرح قوله صلى الله عليه وسلم : (أربعين يوماً في جماعة) .	٧١
مسألة : هل يشترط توالي الأربعين يوماً وتوالي الصلوات التي يدرك فيها تكبيرة الإحرام ؟.	٧٣
شرح قوله صلى الله عليه وسلم : (في جماعة) .	٨١

الموضوع	الصفحة
شرح قوله صلى الله عليه وسلم : (يدرك التكبيرة الأولى) .	٨٢
شرح قوله صلى الله عليه وسلم : (براءة من النار) .	٨٢
شرح قوله صلى الله عليه وسلم : (وبراءة من النفاق) .	٨٤
المبحث الثالث : الأحاديث والآثار الواردة في التبكير للصلاة وفيمن سمع النداء .	٨٩
المطلب الأول : الأحاديث الواردة في التبكير للصلاة وفيمن سمع النداء .	٩٠
ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه ، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ...) .	٩٠
ذكر حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها)	٩٠
ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ..)	٩١
ذكر حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال : (مروا أبا بكر أن يصلي بالناس) ... فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة ، فقام يهادى بين رجلين ، ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد ...) .	٩٢

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني : الآثار الواردة في التبكير للصلاة وفيمن سمع النداء .	٩٤
المبحث الرابع : الآثار الواردة في إدراك تكبيرة الإحرام والمواظبة عليها .	٩٨
بيان عمل السلف الصالح وحرصهم الشديد على المواظبة على تكبيرة الإحرام .	٩٩
الفصل الثاني : الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها والقواعد والأصول المتعلقة بها .	١٠٨
المبحث الأول : الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها .	١٠٩
بيان الأسباب المعينة على إدراك تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها وأنها كالأسوار المنيعة التي تحيط بقلعة الصلاة .	١١٠
السور الأول : العلم بمكانة تكبيرة الإحرام وفضلها .	١١١
بيان أن حديث الباب لا ينزل عن درجة الحسن ، وأن السلف الصالح لم يشددوا في الرواية والعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، وأن مرادهم بالحديث الضعيف ما سمي بعدهم الحسن .	١١١
لسور الثاني : تقوى الله تعالى والابتعاد عن المعاصي والمحرمات وكثرة الاستغفار .	١١٢
سألة : كيف يمكننا الابتعاد عن المعاصي والمحرمات لندرك تكبيرة الإحرام، وكيف لنا أن نواظب عليها ؟! ونحن بشر لا ننفك عن الوقوع في المعصية ؟.	١١٣
لسور الثالث : المحافظة على السنن الرواتب والمستحبات والنوافل .	١١٤

الموضوع	الصفحة
مسألة : أيهما أسهل على المكلف الفرائض أم السنن والمستحبات ونوافل الطاعات ؟.	١١٥
ذكر حديث أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها في المحافظة على السنن الرواتب .	١١٦
بيان حرص رواة حديث أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها على العمل بالسن الرواتب .	١١٦
بيان فائدة السنن الرواتب وأنها تجبر النقص في الصلوات المفروضة .	١١٧
ذكر حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : لما نزل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته يديم أربعاً قبل الظهر .	١١٧
ذكر حديث عائشة رضي الله عنها في قضاء النبي صلى الله عليه وسلم لسنة الظهر القبلية بعد صلاة الظهر .	١١٨
مسألة : هل تقضى سنة الظهر القبلية بعد صلاة الفرض أم بعد أداء سنة الظهر البعدية ؟.	١١٩
ذكر حديث أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها في المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها .	١١٩
بيان أن قوله صلى الله عليه وسلم : (حرمه على النار) في حديث أم حبيبة رضي الله عنها ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (براءة من النار) في حديث الباب أن مؤداهما ومعناهما واحد .	١٢٠
السور الرابع : أذكار الصلاة .	١٢٠
ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه في فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة ، وبيان كيفية التسبيح .	١٢١

الموضوع	الصفحة
ذكر حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فضل جلوس العبد في مصلاه بعد الصلاة .	١٢٢
السور الخامس : الإكثار من ذكر الله تعالى .	١٢٣
ذكر حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في بيان أفضل الإيمان أن تعمل لسانك بذكر الله .	١٢٤
ذكر حديث أبي الدرداء رضي الله عنه في أن ذكر الله تعالى خير الأعمال وأزكاها عند الله وأرفعها وبيان المراد بذكر الله ، ولماذا تبوأ هذه المنزلة العالية الرفيعة ؟ .	١٢٥
السور السادس : الدعاء بأن يجعلك من أهل تكبيرة الإحرام وأن يكتب لك براءة من النفاق وبراءة من النار .	١٢٧
الأساس الذي يقوم عليه سور الدعاء هو المطعم الحلال .	١٢٩
إحدى لبنات سور الدعاء الصدق في الدعاء .	١٣٠
ثاني لبنات سور الدعاء حسن الظن بالله وعدم اليأس بأن تكون من أهل تكبيرة الإحرام .	١٣٢
ثالث ورابع لبنات سور الدعاء الإلحاح في الدعاء ، وأن يتحرى العبد المظان التي يستجاب فيها الدعاء .	١٣٤
ذكر بعض الأحوال وهي مظنة استجابة الدعاء .	١٣٤
ذكر بعض الأزمنة والأوقات وهي مظنة استجابة الدعاء .	١٣٥
ذكر بعض الأمكنة المباركة التي ذكرها العلماء وهي مظنة استجابة الدعاء .	١٣٦

الموضوع	الصفحة
السور السابع : ترك صحبة الغافلين وملازمة الصادقين والاستفادة من أقوالهم وأحوالهم .	١٣٧
السور الثامن : احفظ ألفاظك ولحظاتك وسمعك ، ولا تخض فيما لا يعنيك ، ولا تنظر إلى مالا يعنيك ، ولا تسمع مالا يعنيك ، ودع عنك فضول الكلام والسمع والنظر .	١٣٨
المبحث الثاني : قواعد وأصول في باب إدراك تكبيرة الإحرام والمداومة عليها .	١٤١
المطلب الأول : بيان القاعدة الأولى وتأصيلها : { المتثاقل عن الصلاة مع الإمام ، والغافل الذي يواقع المعاصي والآثام ، ومن يسيء القول في الصحابة الكرام ، محروم لا يحافظ على تكبيرة الإحرام وفيه خصلة من النفاق } .	١٤٢
تأصيل القاعدة الأولى في الكتاب والسنة المطهرة .	١٤٣
المطلب الثاني : بيان القاعدة الثانية وتأصيلها : { من أدرك تكبيرة الإحرام وحسنت صلاته حسن سائر عمله ، ومن ضيعها فو لما سواها أضيع } .	١٤٩
بيان أقسام الناس في إساءة الصلاة وإضاعتها .	٥٠
تأصيل القاعدة الثانية في الكتاب والسنة المطهرة .	١٥٤
المبحث الثالث : إدراك تكبيرة الإحرام وحسن الصلاة جهاد وتغيير للأنفس وتزكية لها وسمو بها نحو الأفضل والأكمل .	١٦٦
المطلب الأول : إدراك تكبيرة الإحرام وحسن الصلاة فيه جهاد وتغيير لنفس صاحبها وتزكية لها وسمو بها .	١٦٧
المطلب الثاني : رعاية الأولاد وإدراك تكبيرة الإحرام .	١٧٢

مسألة : هل للمكلف أن يبادر تكبيرة الإحرام ، ويأتي للمسجد مبكراً ويبقى للشروق ذاكراً ، ويوم الجمعة تراه للصف الأول سابقاً ، وإذا دخل العشر الأخير من رمضان كان في المسجد معتكفاً قائماً قانتاً ، إلا أنه نسي أهله وأولاده، وسلّم قيادهم وإدارتهم لغيره فلا يدري عنهم شيئاً ؟. ١٧٢

ذكر تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ...) ١٧٣

ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما في أن الرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده . وبيان معناه . ١٧٨

ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما في أن المشي في قضاء حاجة المسلم أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعتكاف في مسجده شهراً ، وبيان أن قضاء حاجة الأهل والأولاد داخل فيه من باب أولى . ١٧٩

وأخيراً : لعل التذكير يجبر التقصير . ١٨٢

فهرس الموضوعات . ١٨٥